كيف تربي أولادك؟

برواية أهل البيت عليهم السلام

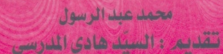
كيف تدفع أبنائك نحو النجاح

ثمانية طرق لتربية الأبناء

كيف تزرع الإيمان في طفلك

ستة قواعد لبناء الحب

كيف تكسب أبنائك


محمد عبد الرسول
تقديم : السيّد هادي المدرسي




مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

كيف تربي أولادك؟

برواية أهل البيت عليهم السلام

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

كيف تربي أولادك؟

برواية أهل البيت عليهم السلام

تأليف

محمد الكاتب

تقديم

السيد هادي المدرسي





بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء:

«اللهمّ ومنّ عليَّ ببقاء وُلْدي..

وبإصلاحهم لي، وبإمتاعي بهم..

إلهي أمدد لي في أعمارهم، وزد لي في آجالهم..

وربِّ لي صغيرهم..

وقوِّ لي ضعيفهم..

وأصحّ لي أبدانهم، وأديانهم، وأخلاقهم..

وعافهم في أنفسهم، وفي جوارحهم..

وفي كل ما عُنيتُ به من أمرهم..

وأدرر لي وعلى يديَّ أرزاقهم..

واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء..

سامعين مُطيعين لك..

ولأوليائك محبين مُناصحين..

ولجميع أعدائك معاندين، ومبغضين..

آمين..

اللهم أشدد بهم عضدي..

وأقم بهم أَوَدي..

وكثر بهم عددي..

وزيّن بهم محضري..

وأحيي بهم ذكري..

واكفني بهم في غيبتي..

وأعني بهم على حاجتي..

واجعلهم لي محبين، وعليَّ حَدِبِ بين مقبلين..

مستقيمين لي..

مطيعين غير عاصين، ولا عاقين..

ولا مخالفين ولا خاطئين..

وأعني على تربيتهم..

وتأديبهم، وبرهم..

وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً..

واجعل ذلك خيراً لي..

واجعلهم عوناً على ما سألتك..

وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم»[1].

---

(١) الصحيفة السجادية/ ا الدعاء رقم: ٢٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة على رسوله وأهل بيته الطاهرين.

وبعد:

هذا الكتاب نافع ورائع، ليس في أسلوبه الممتع الجيد، بل في موضوعه الحيويّ الهام أيضاً.

وهو جدير بالقراءة من قبل كل أب، وكل أم وكل من يتهيأ لتحمل مسؤولية عائلته في يوم من الأيام، لأنه يضع خارطة العمل التربوي السليم، وطريقتها الصحيحة، بين يدي القارئ. كما أنه يكشف عن النتائج الحسنة، أو السيئة التي تترتب على مواقف الآباء والأمّهات من أطفالهم، حسب الطريقة الصائبة أو الخاطئة التي يتّبعونها..

وأهم عناصر القوة في الكتاب - كما لاحظت - تتلخص في الأمور التالية:

أولاً - أنه يعتمد على تعليمات القرآن العظيم والسنّة النبويّة الكريمة، وكلمات المعصومين عليهم السلام كأساس للتربية الصالحة. فهو يعلّمنا كيف نربي أولادنا ليس لكي يكونوا مواطنين سعداء في دنياهم فحسب، بل لكي نكسب بهم، ويكسبوا بنا الآخرة أيضاً..

ثانياً - أنه يستخرج من عبر الأحداث، التاريخية، أو المعاصرة، شواهد

على ما يقترحه من أساليب وطرق للتعامل مع الأطفال. ولا شك للتجربة قيمتها الحضارية، ودلالتها التي لا يرقى إليها الشك، باعتبار التجربة أكبر برهان ـ كما يقول المثل المعروف .

ثالثاً ـ أنه يحلّل المسائل المختلفة، ويتعمّق فيها، وفق رؤى صائبة في كثير من الأحيان، وذلك بأسلوب سهل يفهمه الجميع .

وهو بالإضافة إلى ذلك ينصب من نفسه مدافعاً عن الأطفال، باعتبارهم الأجدر بالرعاية، والأقل قدرة على التعبير عن الذات برغم ما يتحمل منهم الآباء والأمهات من المشاكل..

هذا عن الكتاب..

أما المؤلف، فإنني أعرفه ـ منذ زمن غير قصير ـ عن قرب، وأستطيع أن أقول أن آمالاً كثيرة تتعلق به في المستقبل، لما يتمتع به من روح الإخلاص في العمل، والجد في أداء المسؤولية، وتقبّل الأدوار الصعبة، بالإضافة إلى كفاءاته الكثيرة التي يكشف هذا الكتاب عن واحدة منها فقط..

فهو ليس كاتباً إجتماعياً فحسب، بل إنه قصّاص إسلامي، ورجل خطابة، وتحقيق، بالإضافة إلى أنه رجل المهمات الإدارية أيضاً.

أرجو من الله العلي القدير، أن يسلك به مسالك الصالحين من عباده، ويهدي الشباب للأخذ بآرائه، وأن لا يحرمني من صالح دعائه. إنه قريب مجيب الدعاء.

٢٠/شعبان/١٤٠٨ هـ

هادي المدرسي

إعرف هذا .. أولاً !

في التاسع من شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٢ هجري إعتقل في إحدى المدن العربية لص محترف، بعد أن سرق العديد من المنازل والمحال التجارية، وأحدث اللوعة في قلوب المواطنين، لأنه لم يكن يسرق وحسب، بل كان يتوسل بالقتل ـ أيضاً ـ حالما كان يشعر بالخطر وإفتضاح أمره.

وبعد أن وقع في شباك رجال الشرطة وأحكموا الطوق عليه، إقتادوه إلى السجن، وبعد أيام مضت أحالوه إلى المحكمة والقضاء الجنائي، حيث صدر الحكم عليه بالموت شنقاً.

وجيء به إلى ساحة عامة في وسط المدينة، وكان الناس يضربون حوله شريطاً بشرياً، وهم يشاهدون الحبل المتدلي الذي سيقضي على حياة هذا السارق الخطير بعد لحظات.

وقبل أن يذوق الموت، طلب الجاني من رجال الشرطة أن يحضروا له قلماً وورقة، فأحضروا له ذلك وعكف على كتابة بعض السطور، وقد جاء فيها:

«هذا ما دفعني إليه والدي.. الذي تركني منذ الطفولة ولم يحسن أدبي وتربيتي!».

والمغزى الذي أريد الوصول إليه من هذه القصة أنّ الأب هو المسؤول الأول والأخير عما يفعله الابن، ولا يعني ذلك بالطبع تبرئة ساحة الأبناء إنما الذي نريد قوله أنّ الآباء يتحملون الأوفر من المسؤولية عما ولّوا عليه أبناءهم!

يقول الإمام السجاد عليه السلام:

وأما حق ولدك:

«فأن تعلم أنه منك.. ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره!

إن عمل إبنك عملاً حسناً قال له الناس:

رحم الله أباك!

وإن عمل سوءاً قال الناس: لعن الله أباك!

وإنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته.

فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»(١).

* * *

وإليك المثال التالي:

طلب أحد الرجال حمالاً، لكي يعينه على حمل البضاعة، مقابل بعض الثمن. وفي أثناء الطريق وفيما كان الحمّال ينوء بالحمل الثقيل، إلتفت إليه الرجل وسأله إسمه!

ولما أجاب الحمّال، توقف الرجل عن المشي، ورفع حاجبيه مندهشاً، وقال باستغراب:

ـ هل أنت ـ حقاً إبن ذلك الرجل العظيم؟!

قال الحمّال:

(١) تحف العقول ص ٢٦٣.

ـ نعم. . أنا إبنه.

ولما تأكد الرجل أنّ هذا الحمّال هو إبن ذلك الرجل العظيم والشخصية المرموقة في العلم والمعرفة تفوّه قائلاً وهو يهز رأسه:

ـ نعمَ الأب . . وبئس الولد !!

لكنّ الحمّال ردّ قائلاً:

ـ لا تقل هكذا. . بل قل: نعمَ الجد. . وبئس الأب !

قال الرجل:

ـ لماذا وكيف؟ !

قال الحمّال:

ـ إن والدي لم يبلغ تلك الدرجة من العلم والمعرفة وعظمة ما وصل إليه. . لولا أنّ جدي كان قد بذل الجهد والوقت في تربيته وتعليمه، والعمل الجاد في سبيل إيصاله إلى هذه الدرجة.

وأضاف الحمّال:

ـ ولكن أبي. . ولإهماله بأبنائه. . تسبب في ما تجد من سوء ما وصلت إليه!

* * *

وخذ مثالاً آخر هذه القصة التالية: ذات يوم، وفيما أنا أقطع الطريق عائداً إلى البيت، مررت ببعض البيوت الواقعة على الطريق وإذا بي أسمع شجاراً وصراخاً، ينبعث من أحد هذه الدور ويتعالى إلى عنان السماء!

أثار ذلك علامات الإستغراب في مخيلتي، فتوقفت عن المشي وتصفحت وجوه من كان يقف، من المارة الذين قد اندهشوا للأمر أيضاً.

وفيما نحن كذلك إنفتح الباب، وخرج فتى وهو يلهث، وكان على وجهه آثار كدمات، وبعض الجروح، وكأنه قد نال ضرباً باليمين، كانت الدموع تنهمر من عينيه فقال مستغيثاً: النجدة.. أسرعوا!! صراع بين أخي ووالدي.

فدخلت البيت مع من كان يقف من الرجال لإنقاذ الموقف، حيث كان الأب والإبن في عراك وشباك محتدم وسرعان ما توسطناهم، وفصلنا بينهم.

أخرج بعضنا الإبن إلى خارج البيت، وجلسنا عند الأب نهديء روعه، بينما كان هو يلهث ويتنفس بقوة، ثم تفوّه - ببعض الكلمات المتقطعة وقال وهو يلوم نفسه: هذه تربيتي. وهذا صنيع يدي!!

لقد أخطأ هذا الرجل وأصاب معاً فإنه أخطأ حينما لم يحسن تربية إبنه، وأصاب عندما إعترف بذنبه، ووجّه اللوم والمسؤولية إلى تقصيره في التربية.

يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«**لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما**».

ويقول أيضاً: «**رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما**»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «.. **يحفظ الأبناء بصلاح آبائهم**»[2].

إذن الآباء مسؤولون عن أبنائهم، وبالتالي فإن تربيتهم الحسنة أو السيئة،

---

(١) المستدرك ٢ ص٦٢٥.

(٢) البحار ج١٥ ص١٧٨.

تعكس نتائجها عليهم، مثلما هو الزارع، فلا يمكن أن يزرع الحنظل ويجني الريحان.

والأبناء مثل الواحة الخصبة، فإن أحسنت حرثها وأجهدت نفسك لإروائها بماء السواقي، وبذلت العناية بزرعها حتى يترعرع ويشب حينئذ ستحصد نتاجها الخير ومحصولها اليانع. وإلا فلا يمكن أن تنتظر منها إلا أرضاً جدباء مقفرة، لعلّك إن مشيت عليها تعثرت بأحجارها وسقطت في حفرها، ومستنقعاتها الآسنة.

* * *

وإليك هذا الدليل، على أنّ الآباء يجنون نتاج حسن تربيتهم إن هم أحسنوا ذلك:

جاء في الحديث القدسي:

«مرّ عيسى عليه السلام، بقبر يعذّب صاحبه ثم مرّ به من قابل [بعد عام] فإذا هو ليس يعذب.

فقال:

ـ يا رب! مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذّب ومررت به العام، فإذا هو ليس يعذّب؟

فأوحى الله إليه:

يا روح الله! إنه أدرك له ولد، فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فغفرت له بما عمل إبنه»[1].

يقول النبي صلى الله عليه وآله:

(١) بحار الأنوار ج٣ ـ ص١٥٣.

«خمسة في قبورهم وثوابهم يجري إلى ديوانهم:

من غرس نخلاً..

ومن حفر بئراً..

ومن بنى مسجداً..

ومن كتب مصحفاً..

ومن خلف إبناً صالحاً..

* * *

قال لي أحد الخبراء في علم التربية، مجيباً على سؤال وجّهته إليه: أن الخطورة تكمن ليس في أن الآباء يجهلون مسؤوليتهم تجاه الأبناء فقط، وإنما في غفلتهم - ولربما يحدث ذلك لإنشغالهم في أمور المعيشة وبالتالي فإنهم لا يقومون بتأدية واجبهم على أحسن ما يرام.

وكما أعتقد: بالإضافة إلى ذلك أن هنالك ثمة أسباب أخرى تساهم وبشكل كبير في خلخلة العملية التربوية، وظهورها عليلة وناقصة.

والأسباب هي كما لو فكّر القارىء العزيز معي الآن لوجدها كما يلي أو تختلف قليلاً:

١ - عدم وجود برنامج تربوي متكامل لدى الوالدين.

٢ - تشوش الرؤية.. وغياب الهدف الواضح للتربية.

٣ - عدم الإلمام الكامل بمعرفة الأسس الفنية في معاملة الأبناء والتأثير فيهم.

٤ ـ غياب المقياس والمثل الأعلى للتربية المطلوبة.. أو الشعور بإيفاء حق التربية.. والواقع يكون عكس ذلك.

٥ ـ إهمال دور الأم.. وعدم إعدادها.

٦ ـ ضحالة ثقافة الوالدين، وقصور في وعيهما، وتجاربهما.

وأما ما هي التربية الصالحة؟ وكيف يجب أن تكون؟ وما هو الطريق إلى سعادة الأطفال؟ وكيف نتصرف مع أبنائنا على أحسن ما يرام؟

وماذا نهدف من العملية التربوية؟ وكيف نحقق النجاح في بناء «الإنسان الصالح»؟

كل هذه الأسئلة، وغيرها نحاول أن نتناولها في الفصول القادمة، ونطلب من القارىء أن يشاركنا في إبداء وجهات نظره، ويعطي لنفسه فرصة التفكير الهادىء في كل نقطة علّه يرى أبعاداً وجوانباً أخرى لم نتوصل نحن إليها.

الجزء الأول

الأسس الفنية في معاملة الأبناء

الفصل الأول

إمنح إبنك الإحترام والتقدير

كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يسأل أولاده بحضور من الناس بعض المسائل العلمية، وربما كان يحيل الجواب على أسئلة الناس إليهم.

ومن النتائج المهمة لهذا العمل، إحترام الأولاد، وإحياء الشخصية فيهم.

وفي يوم من الأيام سأل الإمام عليه السلام الحسن والحسين بعض الأسئلة، فأجاب كل منهما أجوبة حكيمة بعبارات قصيرة.

ثم إلتفت الإمام علي عليه السلام إلى الحارث الأعور فقال: «يا حارث علّموا هذه الحكم أولادكم فإنها زيادة في العقل والحزم والرأي».

* * *

وحدث ذات يوم وكان النبي ﷺ يصلي في فئة من الناس، والحسين صغيرا بالقرب منه.

فكان النبي إذا سجد جاء الحسين عليه السلام. فركب ظهره ثم حرّك رجليه فقال:

حل، حل!

فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره، وقال: حل، حل!

فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي من صلاته.

فقال يهودي:

- يا محمد! إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن.

فقال النبي ﷺ:

- لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان.

حينئذ قال اليهودي:

- فإني أؤمن بالله وبرسوله. فأسلم لما رأى كرمه مع عظم قدره.

* * *

أجل كما يجب إحترام الكبار - بقد ذلك أو أكثر - يكون من الضروري إحترام الأبناء الصغار.

بينما الأمر الواقع الذي نعيشه - في معاملة الأبناء - عكس ذلك تماماً.

أحب هنا أن أسوق لكم هذه القصة الواقعة: يقول السيد «م» وهو يروي قصته أيام الطفولة: كانت سنين عمري لا تتجاوز الحادية عشر - كما

أتذكر ـ وذات يوم من تلك الأيام، كنا قد أقمنا في بيتنا حفلاً بمناسبة شفاء والدتي من مرض خطير كاد أن يقضي على حياتها، لولا عناية السماء.

وقام والدي بدعوة الأهل والأقارب وبعض الجيران للمشاركة في الحضور وتناول طعام العشاء.

وحلّت تلك الليلة، وتوافد الرجال والنساء إلى دارنا، بينما كنت أنا ـ خارج البيت ـ أقوم بشراء بعض الحوائج، وما لبثت أن عدت إلى البيت.

بعد ذلك.. توجهت إلى قاعة الإستقبال فدخلتها، وسلمت على الحضور، ومما بعث في قلبي السرور والفرح، أن جميع الرجال الجالسين إنتصبوا قائمين لمقدمي، وهم يرحبون بي، ويشيرون لي بالجلوس.

ولكن سرعان ما تحول ذلك الفرح في قلبي إلى حزن وتبدل السرور لينقلب إلى مرارة، ترى ما الذي حدث؟ إنّ الذي حدث هو أنّ والدي الوحيد الذي لم ينهض لقدومي، بل وكأنّ عملاً سيئاً قد وقع وأدخل الخجل في نفسه، حيث راح يأمر الحاضرين بالجلوس ويقول لهم: استريحوا.. تفضلوا.. لا داعي لذلك!

لقد أحسست بأن أبي يريد أن يقول للضيوف: إن ابني لا يليق بالإحترام والتكريم، فلا تعتنوا به ولا تقوموا له!!

* * *

ويحدث كثيراً إن الآباء لا يحجزون في بعض السفرات مقاعد لأطفالهم لغرض الإقتصاد في الصرف، فيقف الطفل طول الطريق، وعندما يتعب يجلس في حجر الأب.

بالطبع فإن ذلك مما يثير في إحساس الطفل بأنه لا يملك من المنزلة والإحترام

ما يستوجب أن يُحجَز له مقعد خاص حتى يجلس كالآخرين، خصوصاً إذا كان هنالك طفل في سنه قد حجز له أبوه مقعداً!

أو يحدث أحياناً أن بعض الآباء.. يمنعون أبناءهم من إرتياد أماكن الكبار، ويضطرون ـ في كثير من الأحيان ـ إلى إستعمال العنف في طردهم فيما لو حدث وإن دخلوا تلك المجالس الممنوعة عليهم!

إنّ الآباء يحاولون ـ بعملهم هذا ـ إلحاق الإهانة بنفوس الأطفال وتكون بمثابة الضربة القاصمة التي ترد على شخصياتهم وتلازمهم مدى الحياة.

ولا أدري بالضبط أو لا أكاد أفهم ما يهدف إليه الآباء من سحق شخصيات أبناءهم وعدم إحترامهم؟ هب أنهم يريدون التخلص من ضجيجهم وصراخهم وكل ما يحدثون من أذى وشر.

ولكن هل أن التخلص من ذلك، ليس له حيلة إلا بالإهانة، وعدم الإحترام؟!

حدثني أحد الرجال قائلاً: إجتمعت مع ثلة من الأصدقاء في جلسة عصر ذات يوم، كنا نتجاذب فيها أطراف الحديث، ولم يكن فينا صبياً واحداً، كان قد جاء في صحبة والده.

والذي حدث أن والد هذا الصبي طلب من إبنه الخروج من بيننا واللعب مع الأطفال خارج الدار.

لكن الطفل رفض الخروج، ولم يستجب لإلحاح والده وطلبه المتكرر، وكلما كان الأب يصر على خروج إبنه، كان الإبن يصر على الجلوس معنا.

فاضطرّ ذلك الأب إلى أن يتوسل بالعنف الأحمق فهدد إبنه بالضرب إن لم يخرج.

وأخيراً إستطاع طرده من الجلسة، دون مكترث بمسألة احترام شخصية ولده.

والقصة لم تتوقف عند هذا الحد.. والذي جرى أنّ هذا الصبي البالغ من العمر سن التاسعة ولكي يرد الإعتبار لشخصيته المسحوقة خرج إلى الطريق وحمل حجراً، وضرب به رأس طفل من أبناء الجيران فشجه وسالت الدماء، ولما شاهد ذلك أخوة هذا الطفل المصاب لم يتركوا الصبي وشأنه، فعمدوا بدورهم ـ إنتقاماً ـ وانهالوا عليه يضربونه بقسوة ولم ينج منهم إلا بعد أن أوقعوا فيه جروحاً بليغة، إضطرّ أبوه أن ينقله إلى المستشفى فوراً.

* * *

إذن.. هنالك آثار سلبية كثيرة من جراء عدم إحترام الأبناء، هذا بالإضافة إلى الآثار السيئة التي تتعلق في نفوس الأطفال، مثل عقدة الحقارة، وإهتزاز الشخصية، وما شابه ذلك من صفات نفسية خطيرة تهدد كيان الطفل وتلاحقه حتى خريف عمره.

بينما تستطيع أنت ـ أيها الأب العزيز ـ أن تكون بمعزل عن كل تلك الآثار السيئة، والنتائج السلبية بفعل شيء واحد وهو «الإحترام».

ولا يعتقد أحد بأن إحترامك لولدك يلحق بك ضرراً، أو يسيء إلى سمعتك.

ترى.. فماذا يحدث لو قام الأب ـ في مجلس ـ إحتراماً لولده مثلاً؟

وماذا يحدث .. لو إصطحب الآباء أبناءهم إلى أماكن الكبار؟

وماذا يحدث .. لو تعامل الوالد مع ولده على أساس من الإحترام والتقدير؟

وماذا يحدث .. لو إحترم الكبار الصغار؟

هل يحدث غير النتائج الحميدة والطيبة التي تترك أثراً سحرياً في نفوس الأبناء، وتربأ بهم إلى مدارج العظمة والكمال؟

ويجدر بنا أن نسجّل ـ هنا ـ هذه الفكرة الهامة التي تقول أنّ قيمة الإحترام تكمن حينما يتقدم الكبار بإحترام الصغار، وإلا فإنّ إحترام الصغار للكبار أمر طبيعي مفروغ منه.

كذلك فإن قيمة الزهد وعظمته حينما يكون الإنسان الغني زاهداً، وليس حينما يكون الفقير زاهداً.

كما أن عظمة التواضع، هي أن يتواضع العظيم للداني والكبير للصغير.

فلو إحترم الصغير الكبير، وزهد الفقير، وتواضع الحقير، حينئذ لا يكون قد صدر منهم أي فعل ذي بال يشار إليه بالتقدير والتعظيم.

ولكن العظمة .. حينما يحترم الإنسان من هو أصغر منه، ويتواضع لمن هو أدنى منه منزلة.

يقول الحديث الشريف في وصف النبي ﷺ:

«يصافح الغني والفقير والصغير والكبير، ويسلم مبتدءاً على كل من إستقبله من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي ﷺ قال: **«خمس لست بتاركهن حتى الممات .. وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي»**[1].

---

(١) الوسائل ج٣ ص ٢٠٩.

وهذا عيسى ابن مريم جمع الحواريين وقال لهم:

ـ «إليَّ إليكم حاجة. أتقضونها لي؟»

فقالوا له:

ـ «لقد قضيت حاجتك يا روح الله».

فقام عيسى ابن مريم عليه السلام وغسل أقدامهم»!

فقالوا:

ـ «كنا أحق بهذا منك»! ؟

فقال:

ـ «أحق الناس بالخدمة: العالم».

وأضاف:

«إنما تواضعت هكذا، لكي تتواضعوا من بعدي في الناس كتواضعي لكم».

* * *

ولإحترام الأبناء نتائج إيجابية كثيرة، وبإستطاعة أي أب أن يجرب ذلك، فلو كنت تريد من إبنك خدمة ما، ابدأ أولاً بإحترامه وأومىء إليه بالثقة ثم اطلب ما تريد.. وانظر كيف تكون النتيجة.

هذا بالإضافة إلى أنّ الأبناء سيعاملون آباءهم كما تعلموا وتعودوا عليه، لذلك فالأب حر في إختيار الطريقة التي يرغب أن يعامله بها أبناؤه في صغرهم وعند الكبر.

تماماً كما أنك لا تستطيع أن تسحب مقداراً من المال من البنك إلا إذا كنت

قد دفعته مسبقاً، فلا تستطيع أن تطالب أبناءك ـ أو أي إنسان آخر ـ بالإحترام، وأنت لم تودع الإحترام في بنوكهم، ولم تمنحهم الإهتمام فاهتم بهم يهتمون بك، واحترمهم يحترمونك.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إجملوا في الخطاب تسمعوا جميل الجواب».

لأن هذه حقيقة حتمية وسنة كونية لا يمكن تبديلها، «فمن جد وجد ومن زرع حصد».

وإذن، لكي تحترم أبناءك على أكمل وجه، إعمل بهذه الإقتراحات:

١ ـ دع أبناءك يتحدثون أمام الآخرين، كما كان يفعل الإمام علي عليه السلام مع ولديه الحسن والحسين.

٢ ـ أظهر صفاتهم الحسنة.. واجزل الثناء عليهم.

٣ ـ بادرهم بالسلام والتحية.

٤ ـ لا تنهرهم أمام أي أحد.

٥ ـ أصدق معهم في الحديث والموقف.

٦ ـ إصطحبهم معك.. وخذ بأيديهم إلى أماكن الكبار.

الفصل الثاني

عش .. كما لو كنت طفلاً !

إنك لتجد أنّ جهاز التلفاز يقدم برامج خاصة للأطفال يستطيع أن يحاكيهم، ويؤثر فيهم، كما أن لهم كتبهم، ومجلاتهم، وقصصهم، التي كتبت بلغتهم وبمستوى وعيهم، وطريقتهم لفهم الحياة.

ويعتبر الحديث مع الأطفال أو لكتابة لهم فن قدير ليس من السهل على كل الكتّاب والمفكرين الكبار أن ينزلوا إلى مستوى أسلوب الكتابة للأحداث.

تماماً .. كما أنّ للأطفال أسلوبهم الخاص بهم في الكتابة، كذلك فإن لهم طريقتهم الخاصة بهم في المعاملة.

وليس جديداً أن نقول: لا يمكن أن تتعامل مع طفل وكبير بنفس الطريقة، وبأسلوب واحد لا تغيير فيه.

إنّ من الممكن أن تدفع رجلاً لشراء بيت أو سيارة ببضع كلمات لا تتعدى ثماني كلمات، كأن تقول له: خذ هذا المبلغ واشتر هذا النوع من السيارات.

ولكن هل من الممكن أن تدفع طفلاً لعمل ذلك بنفس هذه الكلمات؟

لعلك تتبرم أيها القاريء الحبيب وتقول: وهل هنالك من أحد لا يعرف الفرق بين أسلوب الكبار والصغار؟

وأقول نعم! الجميع يعرف ذلك، ولكن السؤال: هل الجميع يجيد فن

النزول إلى مستوى الصغار؟ أو بالأحرى: هل الجميع ينزل عملياً إلى مستوى الأطفال؟

إذ ليست المشكلة في غياب النظرية، وإنما المشكلة تكمن في عزل النظرية عن ساحة العمل والتطبيق في الحياة.

إذن ليست المسألة إننا نعرف العلم أو نعرف فن إستخدامه ولكن دون أن نزيل الفاصل بينه وبين العمل به.

والسؤال الآن: كيف تختبر نفسك، وتعرف هل أنك تجيد إستخدام هذا الفن، أم أنك ممن لا يمارسونه أبداً؟

والجواب: الأمر بسيط جداً، ما عليك إلا أن ترى: كيف تتصرف أمام الحالة التالية:

حينما تكون منهمكاً في أداء عمل ما، تحرص على إنهائه قبل إنتهاء الموعد أو فوت الفرصة، وفي هذه الحالة فأنت لا تريد الخروج من المنزل أو مكان العمل، بل لربما لا تفكر بذلك مطلقاً في الوقت الراهن.

وبينما أنت كذلك تأتيك إبنتك أو يأتيك ولدك الصغير، يطلب منك أن تأخذه فوراً إلى المنتزه أو إلى السينما لمشاهدة الأفلام المتحركة ويبدأ يلح عليك ويأخذ بيدك، ويجر قميصك وهو يولول معلناً إصراره على الخروج حالاً.

هنا .. كيف تتصرف؟

بالطبع هنالك طريقتان يمكنك أن تتبع إحداهما لصرف إبنك عن فكرته، والتخلص منه:

الطريقة الأولى: أن تنهر الطفل، وترفع عقيرتك بالصياح في وجهه، وتقول له: «إدلف إلى أمك»!

وإذا لم يجدي ذلك نفعاً، ترفع يدك، وتوجه صفعة على خده الغض الطري، وتنجح بإبعاده عنك والتخلص من طلبه.

الطريقة الثانية: أن تأخذه إلى حضنك وتطبع على وجنته قبلة أبوية عطوفة، ثم تقول له ـ على سبيل المثال ـ: إنك تعلم يا بابا كم أنا أحبك، وأحب أن آخذك إلى المنتزه أو السينما ولكن هل أنت تحبني كذلك؟

بالتأكيد أنه سيجيب قائلاً:

ـ نعم !

ثم تقول له:

إذن .. هل ترضى بأذيتي؟ !

سيجيب بـ :

ـ لا !

عندها تقول له: إنني أصاب بالأذى لو خرجت الآن يا ولدي!

وتضيف قائلاً بعد أن تشرح له قليلاً:

ـ ولكن يمكننا أن نخرج في وقت أو يوم آخر دون أن يكون هنالك أي حرج بالنسبة لي ولك.

عندئذٍ سينصرف عنك إبنك ويتوجه ليزجي وقته في اللعب، وبشكل طبيعي وهادىء.

الآن أنظر.. هل أنت تتبع الطريقة الأولى أم الثانية في مثل هذه الحالة وما شابهها؟

إذا كنت تتبع الطريقة الأخيرة فاعرف أنك تجيد فن استخدام النزول إلى مستوى الأطفال، وتعرف فن معاملتهم.

ولكي تجيد فن التعامل مع الأطفال لا بد من أن تجيد ـ أولاً ـ لغة التفاهم معهم، وذلك يكون بإتباع القاعدة الذهبية التالية «عش كما لو كنت طفلاً» أي لو كنت تريد أن تنهر إبنك ـ مثلاً ـ قبل ذلك فكر لحظات، وتصور نفسك مكانه وبقد عمره، فكيف كنت تفكر، وما هي الطريقة الفضلى التي كنت ترغب لو أن أباك أراد نهيك عن نفس هذا الفعل الذي تريد نهي طفلك عنه اليوم؟

بعد هذه العملية لا ضرر من إصدار الأمر والنهي. وبالتأكيد أنك ستجد النتائج الإيجابية وستحقق النجاح في معاملة أبنائك.

وإليك خير مثال على ذلك:

«كان هنالك طفل قد أتعب والديه في الأكل، حيث كان يرفض كل ما يقدمان له من طعام، فكان يصعب عليهما إقناعه بالأكل، بينما كان جسمه يزداد نحافة يوماً بعد يوم.

واستعمل الأب وزوجته الطريقة المعتادة: نهرا الطفل ولاماه: «أمك تريدك أن تأكل هذا». «أبوك يرغب في أن تنمو وتصبح رجلاً».. لكن الطفل لم يهتم بذلك، كما لا تهتم أنت بأعياد البوذيين.

بعد ذلك بدأ الأب يفكر جدياً في أفضل طريقة يقنع بها ولده وأخذ يفكر كما لو كان هو الطفل، فيبحث عن عواطف طفله ورغباته فجعل يسأل نفسه: «ماذا يريد الطفل؟ وكيف أوفق بين ما أريد وما يريد؟».

وحين بدأ يفكر على هذ النحو، سرعان ما حلت المشكلة. فقد كان للطفل دراجة يحلو له أن يركبها ويذرع بها الطريق الممتد أمام بيته.. ولكنه كان يهاب صبياً يكبره سناً يقطن بالقرب منه ويلذ له دائماً أن ينحي الطفل عن دراجته ليركبها هو عنوة وإقتداراً فكان صاحبنا الصغير يهرع إلى أمه باكياً فتخرج للصبي وتخلص منه الدراجة!

فماذا كان الطفل يريد؟ لقد كان يريد ـ طبعاً ـ الإنتقام من هذا الصبي الذي طالما جرح كبرياءه، وأذل إحساسه بالأهمية!

وعرف أبوه هذا فأقبل عليه يمنيه بأنه يسعه أن ينتقم من غريمه هذا لو أنه أكل من الطعام مقداراً كافياً، وعندئذ حلت المشكلة! فقد أبدى الطفل إستعداده، وبدأ يتناول أصناف الطعام بنهم من أجل أن ينمو ويكبر، ويتسنى له أن يؤدب ذلك الشرير الذي طالما غلبه على أمره، وسلب منه دراجته».

إن رغبة الأب والأم بالنسبة لابنهما لم تستطع أن تكون محركة للطفل، ولكنهما عندما إكتشفا حاجة إبنهما، وأدركا وتر آلامه ورغباته، إستطاعا أن يدفعانه للأكل بشغف.

* * *

هذا وإنّ إدراك رغبة الأطفال والتعامل معهم وفقهاً، ليس الأسلوب الأنجح في ما يتعلق بفن الصغار فحسب بل وحتى في معاملة الكبار، فإنها قائمة على مراعاة ذلك.

يقول أحد الناجحين في معاملة الناس:

«إذا كان هناك سر واحد للنجاح، فهو القدرة على إدراك وجهات نظر الشخص الآخر والنظر إلى الأشياء بالمنظار الذي ينظر به الآخرون».

ويقول الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن:

«يا بني إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك».

الفصل الثالث

لا تكن مستبداً!

نزل صديق لي ضيفاً على بيتنا ـ ذات يوم ـ وكان قد أصبح أباً منذ أيام ليست بعيدة، حيث رزق بوليد لأول مرة.

طلب مني هذا الصديق أن يستعير كتاباً حول تربية الأبناء وقبل أن أقوم بتلبية طلبه، إرتأيت إستغلال الفرصة والإفادة منهن فوجهت إليه سؤالاً وقلت:

ـ قبل ذلك أود أن أسألك سؤالاً .. ترى أي الطريقة التي ستعتمد للتعامل مع أبنائك؟

رفع رأسه في تفكير، وتأفف بحسرة ثم قال بإيجاز:

ـ طريقتي ـ التي سأعتمدها ـ في تربية أبنائي أن لا أكون مستبداً معهم.

من خلال هذه الإجابة وطريقة طرحها لمست شيئاً، وبدا واضحاً لي أن هذا الصديق لربما مرّ بهذه التجربة حين صباه وذاق مرارتها من قبل أحد أبويه.

ولما كان ـ هو ـ في غاية الصراحة معي وجّهت إليه السؤال التالي وقلت:

ـ هل كان أبوك مستبداً في معاملتك؟

أجاب قائلاً:

ـ لقد وضعت يدك على الجرح .. إنك تستطيع أن تقول أنّ أبي كان حاكماً دكتاتوراً!

ولما طلبت منه التفصيل أخذ يحدثني بصراحة، وإليك قصته كما رواها:

«كان أبي مستبداً برأيه في كل الأمور الكبيرة منها والصغيرة، إذ لم يكن يأخذ برأي أي أحد من أبنائه، منذ يوم كنا صغاراً وحتى أصبحنا رجالاً كبار.

وأتذكر أنه لم يلبِّ لنا طلباً يوم كنا صغاراً، فهو الذي كان يصدّر الأوامر وكان علينا التنفيذ بدون نقاش.

حتى أنه أخذنا ذات يوم في رحلة سياحية ـ وكنت حينها في سن الخامسة عشر ـ فطلبنا منه أن يأخذنا إلى مصيف شهير كان هدفنا الوحيد من الرحلة، لكنه أومأ لنا بالرفض وأخذنا إلى مكان كان هو يهوى الذهاب إليه، وفي ذلك المكان، كان هنالك نهراً رقراقاً، وكانت الأجواء قائضة، فطلبنا ـ أنا وإخوتي ـ أن يأذن لنا بالسباحة، لكنه رفض أيضاً.

لقد كان والدي ـ في تلك الرحلة التي من المفترض أن تكون لنا ـ لا يذهب بنا إلا إلى المكان الذي يرغب هو إليه، ولا يدخلنا مطعماً إلا المطعم والطعام الذي يشتهيه ولا يسمح لنا بفعل أو إقتناء أي شيء من الألعاب والحاجيات، إلا ما كان يتوق له ويرضيه.

وبالطبع فلم يكن والدي يتنازل عن أي قرار يتخذه، حتى ولو توسلنا به وزدنا في الإلحاح، بل ولم يكن يسمح لأي أحد أن يجعل من كلمته كلمتين.

ولقد ذقنا مرارة إستبداده طوال أيام الطفولة والكبر وكان هو بذلك يسيء في معاملتنا أي إساءة.

وحينما كنا نرى بعض أبناء الجيران كيف كانوا يتنعمون بالحرية، ويرفلون بأجواء الديمقراطية، كان ذلك يثير فينا الألم والحسرة المرّة، ولمرات كثيرة كنا نغبط أبناء الجيران على آبائهم، وكم تمنينا أن يقتدي أبونا بآبائهم ولكن بلا جدوى.

إذن الآباء المستبدون هم الذين يفرضون قدراً كبيراً من السيطرة المتطرفة على الأبناء، ويتعاملون معهم بصرامة وتهديد، وتأنيب، أو يحاولون دفع أبنائهم إلى مستويات وآراء لا تلائمهم، ولا تتفق مع آرائهم المشروعة.

ويفرز هذا الإستبداد النتائج السلبية التالية:

١ ـ يحاول الأبناء مقاومة السيطرة الأبوية فتتحول هذه المقاومة غالباً إلى نضال من أجل النفوذ بين أنفسهم وبين آبائهم.

٢ ـ أنّ السيطرة الأبوية المتطرفة تحول بين الإبن ورغبته في الإستقلال حتى يستطيع أن يأخذ مكانته كفرد ناضج ومستقل في المجتمع.

٣ ـ ولادة الحقد والكراهية في نفوس الأبناء تجاه آبائهم، والتخلص من ربقتهم ويحدث كثيراً أن الطفل يتمنى موت أبيه ليس لأجل التركة، وإنما من أجل التحرر والخلاص.

* * *

على ضوء ذلك لا أعتقد أن أحداً يؤمن بالدكتاتورية كما لا أحد يؤمن بالحرية المطلقة للأبناء، ولكن أمر بين أمرين.

أي أنّ من حق الأب الشرعي تجاه أبنائه أن يمنعهم من فعل بعض الأمور ويضع حداً لهم تجاه بعض القضايا التي يراها تضر بأنفسهم ومصالحهم ولكن .. ليس للأب الحق في منعهم وفرض رأيه عليهم في كل شيء .. حتى في نوعية اللعبة الصالحة.

بل وليس له الحق في أن يفرض رأيه حتى في بعض العادات والتقاليد.

يقول الإمام علي عليه السلام في كلمة رائعة:

«لا تقسروا أولادكم على أدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»(١).

وعلى سبيل المثال: فإذا كان الأب يتناول الطعام بيده وأولاده يأكلون بالملاعق، فليس له حق منعهم أو إلزامهم الإقتداء به، وكذلك الأمر في الآداب الأخرى سواء في طرق استخدام مواصلات السفر وكيفية السكن والملبس أو العادات الأخرى طالما هي في طول الشريعة الإسلامية لا في ـ عرضها.

أي ما دام هي صالحة ومحللة أو مباحة، ولكن للأب الحق بل ويجب عليه فرض رأيه حينما يسيء الأبناء الطريق المستقيم أو منعهم لكي لا يضلوا الطريق منذ البداية.

ولكن ما هو المانع من أن يدع الأباء أبناءهم يختارون الآداب المخالفة لآدابهم ما لم تكن تخالف شريعة الله عز وجلّ؟

بالطبع .. لا يحدث أي شيء!

بل إن الأب الكريم سيجني نتائج طيبة من ذلك، فإنه لو أرخى الحبل وترك الحرية لأبنائه في كل الأمور الجزئية التي لا تضر ولا تنفع، فإنه بالتأكيد سينجح في شد الحبل في الأمور الكبيرة والهامة الأخرى.

تماماً .. يكون بعكس ذلك الذي يشد في كل شيء.

وهذه العملية تشبه عملية الخطابة، فإنّ الخطيب الناجح هو الذي يشد على بعض الكلمات ويرَ في البعض الآخر، فهو لا يصرخ دائماً خلال حديثه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد (ج٢٠) ص٢٦٧.

بينما الخطيب الفاشل هو ذلك الذي يبدأ خطابه بالصراخ والشد على مخارج الكلمات في حنجرته، حتى نهاية خطابه.

إنّ سياسة اللين في مقابل الشدة «لها الأثر البالغ لاحتواء الأبناء وامتصاص أي بوادر للنقمة في نفوسهم».

يقول الحديث الشريف:

«لا تكن يابساً فتكسر ولا تكن ليناً فتعصر».

* * *

والمطلوب أن يكون الأب ليناً حتى في الأمور التي يرى من الضروري أن يشد الحبل فيها، ويأخذ برأيه خلافاً لآراء أبنائه.

فإذا كان من حقه ـ مثلاً ـ أن يصدر أمراً بالرفض، فليس من حقه أن يستخدم العنف والقوة إذا كان للرفق إلى ذلك سبيل.

هب إنك أردت منع ولدك من إرتياد أماكن اللهو، ونهيه عن سماع الأغاني، أو أردت أن يستجيب لك في أداء عمل الخير والصلاح، فهل هنالك خير من إستخدام الرفق واللباقة وفن الإقناع في ذلك؟

* * *

والسؤال الآن هو: كيف يتصرف الآباء تجاه طلبات أبنائهم؟

هل ينفذون كل أوامرهم؟

أم يمتنعون؟

يقول أحد خبراء التربية: «ليس من الصحيح أن يكون الطفل جهازاً تشريعياً، كما ليس من المطلوب أن يكون الوالدان جهازاً تنفيذياً، يقوم بتنفيذ كل الأوامر والقوانين التي تملى عليه.

والوالدان اللذان يكونان جهازاً تنفيذياً، فإنهما يسيئان إلى أبنائهما وأنفسهما معاً.

كما وليس من الصحيح أن يكون الوالدان حكومة دكتاتورية مستبدة تحكم بقوة الحديد والنار، ويكون الأبناء شعباً مضطهدا مسلوب الحرية.

وإنما السليم والمطلوب أن يكون الوالدان حكومة تمنح شعبها الحرية والديمقراطية ضمن شروط وحدود وضعتها شريعة السماء.

قال لي أحد الآباء عن تجربته في التعامل مع الأبناء وبالخصوص حينما يقدمون طلباتهم قال يجب أن لا يتعودوا على الإستجابة الفورية لكل طلباتهم».

وأضاف قائلاً:

كنت أعرف صديقاً لي كان يشغل وزوجته مناصب كبيرة في الدولة، وكانا يدران ـ شهرياً ـ أموالاً طائلة، وحينما وجهت إليهما سؤالاً وقلت: هل يغنيكما معاشكما؟ فقالا:

لا إن نصف الراتب الشهري لا يكاد يفي لشراء حاجيات أبنائنا وقضاء طلباتهم فقط !.

وأقول: هذا بالإضافة إلى أن الطفل أو الطفلة المدللة حينما تكبر وتنتقل إلى بيت الزوجية، فإنها ستكون من أصناف النساء اللواتي يقصمن ظهور أزواجهن بكثرة طلباتهن، وإسرافهن في شراء الفساتين والحلي وأدوات الزينة.

وقد تبين حسب ما أكدته الدراسات والبحوث أنّ الزوجة القانعة بالكفاف، هي تلك الطفلة التي لم تتعود على إستجابة جميع طلباتها حين الصغر.

إن أفضل قاعدة للتعامل مع كل شيء هي قاعدة: «لا إفراط ولا تفريط».

ونحن هنا ننصح باتباع هذه القاعدة الذهبية في التعامل مع الأبناء حينما يقدمون طلباتهم، لأن خير الأمور أوسطها، «كما يقول الحديث الشريف».

الجزء الثاني

كيف تكسب أبناءك ؟

الفصل الأول

أقصر الطرق إلى قلب الطفل

يقول أحد الأشخاص:

«دخلت تجمعاً جديداً عليّ واستطعت أن أدخل في قلوب كل من صاحبتهم في هذا التجمع إلا واحداً منهم، كلما تقربت منه، شعرت بعدم إرتياحه لي، ولقد فكرت ملياً في الدخول إلى قلبه، ووضعت خططاً، وطبقتها. إلا أنّ شيئاً منها لم يجدي..

وعندما وصلت إلى درجة القناعة بأني لا أستطيع أن أفتح علاقة محبة معه. في هذه المرة حدث لي أن تحدثت معه، وكان صاداً بنصف وجهه عني، قلت له: إسمع مني يا حبيبي..

فجأة .. وإذا بالرجل يوجه نظراته إليَّ، مركّزاً عينه في عيني، يستمع إلى كلامي بلهفة الحبيب، وما كدت أن أتوقف من كلامي حتى قال:

ـ ماذا قلت .. حبيبي ؟!

فظننت أنه إستنكر الكلمة، فقلت محاولاً تدارك الموقف:

ـ نعم إني صادق. إني أحبك كما أحب نفسي..

وإذا بالرجل يقاطع كلامي، ويقوم ليقبلني ..

ومنذ تلك اللحظة، أصبح الرجل صديقاً حميماً لي».

* * *

جاء في الحديث:

«مر رجل بالمسجد وكان الإمامان، أبو جعفر وأبو عبد الله جالسين. فقال أحد جلسائهما:

«إني والله لأحب هذا الرجل».

فقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام:

ـ فاذهب إليه وأعلمه بحبك، فإنه أبقى للمودة وخير من الإلفة وأكثر في الإجتماع».

هكذا تؤثر كلمة الحب في الإخوان والأصدقاء.

ترى كيف هي مع الأبناء؟

يقول أحد الآباء: «إذا وددت أن تعلم كيف توقع إبنك في حبك، ما عليك إلا أن تغمره بالحب».

وقال آخر: «أحبب ابنك يحبك».

ولذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله (عز وجل) ليرحم الرجل لشدة حبه لولده»[1].

---

(١) الوسائل (ج٥) ص١٢٦.

وقال عليه السلام أيضاً:

قال موسى عليه السلام:

«يا رب ! أي الأعمال أفضل عندك؟

قال:

ـ حب الأطفال، فإني فطرتهم على توحيدي، فإن أمتهم أدخلتهم جنتي برحمتي»[1].

وهنا يجدر بنا إيراد الملاحظة التالية: ليس هنالك من الآباء من يكره أبناءه إلا ما ندر، وحتى الذي يعلنون بغضهم وكرههم لأبنائهم بسبب النزاعات التي تحدث أحياناً ـ وللأسف ـ بينهم وبين أبنائهم فإنهم في الواقع يضمرون الحب لهم، ولا يمكنهم التخلي عنه.

حدث لي ذات مرة وكنت بصحبة أحد الآباء في رحلة طويلة بالقطار، وكان هذا الأب رجلاً طاعناً في السن، وله سلسلة من الأبناء، كان كبيرهم قد تخاصم معه بعد شجار وخلاف عميق دام لعدة سنوات.

كان الأب هذا قد ذاق الويلات من إبنه العاق، وحينما كان يتحدث لنا عنه، كان يتأفف ويتألم كثيراً، وكان يقول بالحرف الواحد أنه يكره إبنه هذا !

ولكنني ـ في الواقع ـ وجدت العكس تماماً، فلم أجد فيه الكراهية، وإنما رأيت فيه الحب لولده. وذلك من خلال حديثه المتكرر عن إبنه ومحاولة إبعاد نفسه عن سبب نشوب الفرقة وإظهاره الإستعداد للصلح إذا جاءه ولده معتذراً.

* * *

---

(١) ـ بحار الأنوار (ج١٠٤) ص٩٧.

ومن هنا فقد لا يشك أحد في حب الآباء لأبنائهم، ولكن السؤال المهم هنا هو: هل أن الأبناء يشعرون بحب آبائهم المكنون لهم؟

ترى هل يشعر ولدك بحجم الحب الذي تكنه في قلبك إليه؟

أم إنه يخطىء التقدير العادل لحجم حبك له؟

أم أنه قد يظن بأنك لا تحبه أبداً ؟!

إذن لا يكفي أن تحب ولدك ما لم نشعره بحبك إياه.

والمشكلة تكمن حينما لا يلمس الأبناء آثار الحب ـ وبالخصوص ـ عندما يقوم الأب بدور الآمر والناهي والزاجر، حينئذ فلا يجد الابن أي صورة للحب في وجه أبيه.

والسؤال الآن:

كيف تشعر إبنك بحبك إياه؟

والجواب:

هناك تسعة أمور صغيرة يمكنها أن تصنع المعجزات في إشعار الأبناء بحبك إياهم، وتكسب قلوبهم، وتوطد العلاقة معهم وهي:

١ ـ قبّل أولادك . .

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أكثروا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة».

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال:

ـ «ما قبّلت صبياً قط !..

فلما ولّى، قال النبي صلى الله عليه وآله:

ـ هذا رجل عندنا من أهل النار»[1].

٢ ــ أدخل السرور في قلوبهم.

يقول النبي ﷺ:

«من فرّح إبنته كأنّما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرّ عين إبن فكأنّما بكى من خشية الله»[2].

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«من قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة ومن علّمه القرآن دعي الأبوان فكسيا حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة»[3].

٣ ــ إرحمهم وأعطف عليهم..

يقول رسول الله ﷺ:

«أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم ففوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم».

ويقول ﷺ فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام:

«وارحم من أهلك الصغير ووقر الكبير».

وجاء في الحديث:

وكان النبي ﷺ «إذا أصبح مسح على رؤوس ولده».

٤ ــ أحسن إليهم..

---

(١) بحار الأنوار (ج١٠٤) ص٩٩.

(٢) مكارم الأخلاق ص١١٤.

(٣) فروع الكافي (ج٦) ص٤٩.

ذات يوم قال رجل من الأنصار لأبي عبد الله عليه السلام:

ـ من أبر؟

قال:

ـ والديك.

ـ قد مضيا.

قال: بر ولدك[1].

ويقول النبي صلى الله عليه وآله:

«من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور.. فإنه من فرّح إبنة فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرّ بعين إبن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله أدخله الله جنات النعيم».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«طبعت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها».

٥ ـ قدّم لهم الهدايا..

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«الهدية تورث المحبة».

إنّ الهدية رمز المحبة، وكلما ازدادت الرموز، كلما تجذرت المحبة في نفس الإنسان.

والهدية ليست في قيمتها المادية، بل في قيمتها المعنوية، فحينما تقدم لابنك هدية، قبل أن يتبادر إلى ذهنه القيمة المادية لها، سينتابه الشعور في نفسه

(١) بحار الأنوار ج١٠٤ ص٩٨.

بأنك أكرمته وأعليت مقامه، وغطيته بحنة جمينة من حب ند في.

وبالتالي فإنك من خلال ذلك تكون قد وصلت عبر أقصر الطرق إلى قلبه.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«ما إستعطف السلطان، ولا إستسل سخية الغضبان، ولا إستميل المهجور، ولا إستنجح صعاب الأمور ولا إستدفعت الشرور، بمثل الهدية».

إذن للهدية دور كبير في تغيير مجرى الأمور، فحتى السلطان يمكن إستمالته بواسطة الهدية، وإذا كان الأمر كذلك مع السلاطين فما أجمل أن يكون للهدية دور فعّال في علاقة الوالدين بأبنائهم.

* * *

طلبت من فتى ـ ذات يوم ـ أن يذكر لي حادثاً ـ بينه وبين أبويه ـ ترك أثراً إيجابياً بالغاً في حياته.

فقال الفتى بعد أن ابتسم مسروراً:

«الحادث الذي لا زال عالقاً في مخيلتي منذ أيام الصغر، والذي ترك أثره السحري في نفسي هو الأمر التالي:

ذات يوم وأثناء لعبي. تسببت في تحطيم إحدى زجاجات النافذة في بيتنا، ولما سمع بذلك والدي نهض من نومه غضباناً، ومسك بتلابيبي، وكان يرتعد من الهياج والعصبية، فضربني، وأهال عليّ كلمات اللوم والتقريع.

بعد أن انتابني الشعور، وبدا لي بأن والدي يحب الزجاجة أكثر مما يحبني، وأيقنت بذلك لما تذكرت تعنيفه إياي في الأيام السالفة.

ولكن لم يمض من الوقت طويلاً حتى جاءني والدي وضمّني إلى صدره، وقدّم لي ظرفاً جميلاً كتب عليه العبارة التالية: «هذه هديتي .. إلى ولدي الحبيب ..».

لقد كانت هذه الهدية مثل المطر الذي ينزل على مزرعة قطع عنها الماء طويلاً.

ومنذ ذلك اليوم إخضرت المحبة في فؤادي، وتعلّقت بوالدي أيما تعليق».

أجل لا تنسى هذا الدور السحري أيها الأب الكريم وتذكر دائماً قول الرسول الأكرم ﷺ إذ يقول:

«تهادوا فإن الهدية تغسل السخائم (الأحقاد)».

٦ ـ أخبرهم بحبك إياهم ..

يقول رسول الله ﷺ:

«إذا أحب أحدكم أحداً، فليخبره». ذلك لأن الحب في قلبك مثل العطر في زجاجة مغلقة، فإذا أردت أن تفوح رائحته الزكية ويشمها الآخرون، لا بد لك أن ترفع الغطاء عندئذ. وإلا فإن العطر سيبقى ولا يشعر بوجوده أي أحد، ولربما حتى الذي يحمل زجاجة العطر فإنه قد ينسى أنه يحملها.

٧ ـ إسق شجرة الحب دائماً:

في زحمة العيش، وتكاثر الأولاد، وصعوبة الحصول على السكن قد يتبرم بعض الآباء من أبنائهم وتقل نسبة الحب، ولربما قد يفكر البعض ـ أحياناً ـ بتحديد النسل، والتخلص من أبنائه فيعمد إلى زجهم في أتون العمل، وهم بعد لما يقوون على ذلك.

هنا، وفي حالات أخرى مشابهة، يجب على الأب الحكيم أن لا يسمح لجذوة الحب أن تخبو وتنطفيء، وذلك يكون بالاعتماد على الله والتوكل عليه، طالما هو وعد ـ في قرآنه الحكيم ـ بالتكفل للآباء والأبناء معاً.

فقد قال الله عز وجل:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[1].

وقال عز وجل أيضاً:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[2].

٨ ــ كن وفياً معهم . .

قد يعد الأب أبناءه بوعوده، ولكنه لا يفي بها، فهو على ذنب لا كفارة معه، لأن خلف الوعد يكسر الثقة بين الأب وإبنه، والثقة مثل الزجاج إذا إنكسرت لا يمكن إعادتها كما كانت في السابق.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إذا وعدتم الصبيان، ففوا لهم، فإنهم يرون إنكم الذين ترزقونهم، إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»[3].

ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«إذا وعد أحدكم صبيه فلينجز»[4]:

ذلك لأن الوفاء يعبّر عن الإحترام، والإحترام يعبّر ـ بالطبع ـ عن الحب.

---

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) الإسراء: ٣١.

(٣) الكافي (ج٦) ص٥٠.

(٤) المستدرك (ج٢) ص٦٢٦.

أي لا يمكنك أن تحب إنساناً وأنت لا تحترمه بالقول والفعل.

إذن . . فإذا أردت أن تشعر إبنك بحبك إياه . . عليك بتطبيق الإقتراحات العملية السالفة الذكر. وكلي رجاء بأنك عامل بها إن شاء الله تعالى وذلك هو أقصر الطرق للوصول إلى قلوب الأطفال ومن ثم التأثير فيهم وجرّهم لصالحك.

الفصل الثاني

تصابَ معهم

يقول الرسول الأكرم ﷺ في كلمة من أروع ما قيل في التربية:

«من كان عنده صبي فليتصاب له»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام كذلك:

«من كان له ولد صبا»[2].

هل رأيت كيف يلعب الصبي مع صبي آخر بقد عمره؟

لا شك أنّ هذا المنظر يتراءى لك في اليوم ـ لربما ـ أكثر من مرة وأنت في البيت، أو خارجاً إلى عملك ـ في الطريق ـ أو عائداً منه.

فالطرقات والأزقة لا تكاد تخلو من وجود الأطفال وهم يلعبون وخاصة في بلادنا ذات المناطق الإجتماعية والأحياء المتآلفة.

تصور وكأنّك في زقاق أو شارع أو في ملعب الأطفال، وانظر كيف يتعامل الصبي مع الصبيان، وكيف يلعب الطفل مع من هم في سنه.

أو ارفع بصرك ـ قليلاً ـ عن هذه السطور وأبصر أطفالك إن كانوا إلى جنبك، أو تكلف قليلاً وأشرف عليهم من فوق الشرفة إن كانوا يلعبون في الحديقة أو في الساحة الأمامية للبيت.

---

(١) الوسائل (ج١٥) ص٢٠٣.

(٢) فروع الكافي (ج٦) ص٥٠.

أنظر كيف يتصابى الطفل مع الأطفال .. ثم حاول أن تتصابى معهم، وتكون كأحدهم.

إذن فالمطلوب أن تكون صبياً مع الصبيان وطفلاً مع ولدك حين اللعب، ولكن مع فارق واحد هو أنك كبير، ولا نريدك أن تكون صغيراً أبداً!

* * *

قد يتساءل هنا بعض الآباء عن ضرورة التصابي، وأعتقد أنّ البعض قد يأخذ المسألة هذه بنوع من عدم الإهتمام.

ولكنني .. وبكل ثقة أمنيهم وأعدهم خيراً أنهم سينظرون إلى هذه المسألة بمزيد من الأهمية وإدراجها ضمن منهجهم في التربية.

وذلك خلال الإطلاع على نتائج التصابي الخيرة مع الأبناء، وهي كما يلي، بعد أن نورد ملاحظتين نرى من الضروري الإشارة إليهما:

الملاحظة الأولى: لا تحسب أن نزولك إلى الأطفال وتصابيك معهم سينال من شأنك وعظمة شخصك.

وكن على علم أن العظيم ـ فعلاً ـ لا يمكن أن يسقط من على قمة عظمته، بمجرد نزوله إلى الأطفال وتصابيه معهم.

وإن ذلك الذي يتصابى مع الأطفال هو ذلك الرجل العظيم، لأن الجبل لا يخشى العواصف، بينما الجبل المصنوع من الورق يخشى حتى نسيم الصباح.

وخذ مثالاً: النبي محمد ﷺ وهو أكبر الأنبياء وأعظم رجل عرفته البشرية جمعاء.

يقول الحديث الشريف:

عن يعلي العامري «أنه خرج من عند رسول الله ﷺ إلى طعام دعي إليه، فإذا هو بحسين عليه السلام يلعب مع الصبيان، فاستقبله النبي ﷺ أمام القوم.

ثم بسط يديه. فطفر الصبي ها هنا مرة وها هنا مرة.

وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه، ووضع فاه على فيه وقبّله»(١).

* * *

وكان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف لهم، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه، فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم.

فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك، فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه، وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم.

* * *

الملاحظة الثانية: لا تنسى أن التصابي مع الأطفال يزيد في تواضعك، ويبعدك عن حالة الزهو والكبرياء المقيتة، واعلم أنه قد تبين للكثير من الباحثين في علم النفس، أن الأشخاص المصابين بعقدة التكبر يصدّون عن التصابي مع أبنائهم واللعب معهم.

---

(١) المستدرك (ج٢) ص٦٢٦.

والإنسان المتكبر يحاول ـ دائماً ـ إجتناب الأطفال، بل ويستنكف من الجلوس إلى جنبهم، كما ويحاول تحقيرهم وإهانتهم بعمد.

* * *

والآن دعنا نرى نتائج التصابي واللعب مع الأبناء وهي كما يلي:

١ ـ أطفالك . . خير وسيلة للترفيه.

يتحدث طبيب متخصص بالأمراض العصبية: « جاءني ذات يوم مريض يشكو توتراً في نفسه وأعصابه، ولما عرفت أنه يمتهن عمل السياقة في مدينة كبيرة، كتبت له بعض الدواء، ونصحته باللجوء إلى الراحة والترفيه المستمر.

بيد أنه تأفف وقال بيأس:

ـ لقد ذهبت إلى الكثير من الأطباء ـ قبلك ـ ونصحوني بنفس هذه النصيحة . . ولكن ظروفي لا تسمح لي بالذهاب إلى الحدائق والمتنزهات بشكل مستمر.

وهو بذلك وضعني أمام الأمر الواقع، فأخذت أفكر بجد وأبحث عن الحل المناسب، وبعد لحظات إهتديت إلى فكرة، وسرعان ما ترجمتها إلى جواب فقلت للمريض الماثل أمامي:

ـ «هل لك أطفال؟

ـ نعم . .

ـ كم عددهم؟

ـ ثلاث أولاد وبنتان.

قلت:

ـ هل تلعب مع أطفالك؟

قال:

ـ لا . . في الحقيقة إنني حالما أعود إلى البيت ـ ليلاً ـ ألجأ إلى فراشي. وأطلب من زوجتي إبعاد أطفالي عني بعد أن أكتفي بتقبيلهم والجلوس معهم قليلاً!

عندئذ نصحته بعكس ذلك، وأمرته بالتقرب كثيراً إلى أطفاله واللعب معهم كل يوم.

وبعد مضي ثلاثة أسابيع إتصل بي هذا الرجل ليخبرني بشفائه بعد أن وجد في أطفاله خير وسيلة للترفيه».

ويقول أحد الآباء: «إن خير منفّس لكربي وهمومي ـ دائماً ـ هو حينما ألجأ إلى أطفالي وأقضي معهم بعض الوقت في ملاعبتهم ومناغاتهم».

وقد وجدت بالتجربة: إن خير دواء هو الأنس مع الأطفال والضحك معهم، في الأوضاع القاتمة، فهم الذين يجلون الغمة من الصدور ويدخلون الفرح والسرور إلى القلوب. ولك في أولادك خير مثال.

٢ ــ توطيد الحب وتمتين العلاقة.

هل رأيت الأب الذي يلاعب أبناءه؟

وهل رأيت الذي يصد عنهم؟

ترى أيهما الذي يكسب أبناءه ويمتن الحب معهم؟ بالتأكيد هو الأول.

وقد أثبتت التجارب حسب ما يقول الآباء الناجحون في التربية ـ إن من أفضل الوسائل لكسب الأبناء هي التصابي واللعب معهم.

٣ ـ طرد العقد النفسية..

لقد تبين أن الكثير من المصابين بالأمراض والعقد النفسية هم الأطفال المهملون الذين يعيشون وسط أجواء يسودها الضنك وينعدم فيها المرح، حيث الآباء الصارمون المصابون بالجفاف في الأسلوب.

بينما الطفل الذي يرى رعاية كاملة وإهتمام بالغ بشخصيته من قبل والديه، فيجدهم يلاعبونه وينزلون إليه ويتصابون معه، يكون طفلاً منشرح النفس يخلو من أي بذور للعقد النفسية.

٤ ـ تنمية الثقة فيهم..

الثقة بالنفس صفة أساسية لبناء الإنسان السليم، لذلك عكف الآباء والمسؤولون عن تربية الأطفال في دور الحضانة والمدارس، على تنمية هذه الصفة ووجدوا أن من الطرق المؤدية إلى هذا السبيل، هو إشعار الأطفال بأهميتهم.

وذلك لم يتحقق بإلقاء المحاضرات، أو بالقول لهم: «إنكم ذو أهمية بالغة» وإنما يكون ذلك بالإهتمام بألعابهم.

وقبل ذلك.. باللعب والتصابي معهم. وهل هنالك أفضل طريقة لإشعار الطفل بأهمية ما يصنعه من طريقة النزول إليه واللعب معه؟

ومن هنا نجد الإسلام يؤكد على التصابي مع الأبناء، ويعير إهتماماً بالغاً لألعابهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«دع إبنك يلعب سبع سنين».

الفصل الثالث

مصادقة الأبناء..

يقول الإمام علي عليه السلام:

«أعجز الناس من عجز عن إكتساب الأخوان».

قد تجد لنفسك تبريراً لعدم مصادقتك الناس أو لا تجد ـ وهو الواقع في أغلب الأحيان ـ ولكن هل هنالك تبريراً لعدم مصادقتك إبنك؟

لماذا لا يصادق ـ بعض الآباء ـ أبنائهم؟

إنني أجد من أشد الجفاء أن يترك الأباء مصادقة أبنائهم.

أوليس إبنك أقرب الناس إليك، وهو فؤادك الذي يتحرك بين يديك؟

هذا بالإضافة إلى أن الأب بمسيس الحاجة إلى ربط العلاقة مع أبنائه.

أو ليس هو الذي قبل أي أحد يريد تربيتهم والتعامل معهم والتأثير عليهم؟

ترى .. هل يستطيع المربي أن يمارس دور التربية وهو لا يكون صديقاً لمن يريد تربيته؟

بالطبع: لا !

ولذلك فإنّ أنجح المدرسين ـ ليس ذلك الذي يمتلك بسطة في العلم والجسم ـ وإنما ذلك الذي يكسب قلوب التلاميذ ويصادقهم.

وليكن في خلدك: أنّ الأب الذي يصادق أبناءه يستطيع أن يؤثر فيهم ويكسبهم إليه بكل سهولة وأبلغ تأثير.

ومن الملاحظ أن الطفل يتعلق تعلقاً شديداً بمن يحاول مصادقتهو التقرب إليه، سواء كان ذلك أحد والديه أو أي شخص أخر.

* * *

أتذكر أنه كان في محلتنا رجل طاعن في السن، دأب على مصادقة الأطفال، وكان شغوفاً بحبهم والتقرب إليهم. حتى أنه استطاع أن يكسبالكثير منهم، ويترك أثره البالغ عليهم.

ترى ماذا كان يصنع هذا الشيخ؟

لقد كان جيبه ـ دائماً ـ لا يخلو من قطع الحلويات، والنقود الصغيرة التي كان يوزعها على الأطفال أينما وجدهم، سواء كانوا يلعبون في الطرقات أو الذين يجلسون في احضان أمهاتهم وأبائهم في الباص أو في المحاضر العامة، وكانت شفتاه لا تفتأ تنفرج عن ابتسامات عريضة، كما أنه كان يحفظ الكثير من القصص والنكات التي كانت تستهوي الصغار إليه.

وأتذكر انه لما توفاه الله لم يحزن الأطفال لموته فحسب، بل وحتى الكبار، ذلك لأنهم كانوا يرجعون إليه حينما كانوا يريدون اقناع أبنائهم أو منعهم من شيء، حيث كان ـ رحمة الله عليه ـ يترك اثره السحريفي إقناع الأطفال والتأثير فيهم، لعلاقته بهم.

* * *

والسؤال الآن هو: كيف توطد الصداقة مع ابنائك؟

والجواب: إذا كنت ترغب في أن تكون صديقاً حميماً لولدك أو إبنتك، يكون حرّياً بك إتباع الطريقة التالية:

١ ــ أسرد الأقاصيص النافعة لهم.

لقد وجدت بالتجربة ـ ولعلك وجدت ذلك ايضاً ـ أن أبلغ طريقة لمصادقة الأطفال هي ((سرد القصص لهم)).

فالأطفال يجتمعون حول من يسرد القصص عليهم كما تجتمع الفراشات حول الوردة المتفتحة في حديقة غناء.

وهناك الكثير من كتب القصص النافعة، التي تستطيق إقتناءها من المكتبات، لتزودك بمخزون منها.

ويفضل هنا أن تورد لهم القصص الصالحة التي تحمل الدروس والعبر، والمعاني البالغة. وبهذا فإنك تكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد، فبنفس الوقت الذي تكون قد صادقتهم، تكون من جانب آخر قد قمت بواجبك التربوي.

قال لي أحد الثائرين: ((إن قصص الأنبياء والأئمة والصالحين التي كانت تسردها لي والدتي أيام الطفولة، كان لها الأثر الأكبر في مسيرة حياتي وبالخصوص قصة معركة الإمام الحسين في كربلاء)).

٢ ــ أظهر إهتماماً بهم.

يقول أحد الرجال:

كانت لي أختان صغيرتان، إستطعت كسب ودهما، وحبهما، حتى الكبر بالرغم من أن فرصة حضوري معهما كانت نادرة وقليلة.

وكما أعتقد أن السبب الأكبر وراء ذلك ـ بالإضافة إلى الأسباب الأخرى ـ إنني كنت أعيرهما بعض الأهتمام.

ترى ماذا كنت أصنع ؟

بالطبع لم أكن أصنع المعجزات، وإنما مجرد إنني كنت أظهر إهتماماً بما يلعبون، ويفعلون وما يلبسون، كنت أسألهما ذلك.

ولهذا فإنهما كانا يعرضان علي حتى ملابس الدمى التي كانا يخيطانها، والألعاب، والرسوم، وكانا يسهبان في الحديث والشرح وكلتاهن فرح وسرور بما أبديه من إهتمام وتفاعل، وكنت وكأني أصغي لمحاضر قدير.

* * *

فالطفل مثل الكبار، له إحساسه وشخصيته، ويحب كل من يعيره أدنى إهتمام بشخصه، وبكل شيء يهتم هو به.

ولربما إنك وجدت ذلك في طفلك ـ أو في الأطفال الآخرين ـ ولاحظت كيف يأتي إليك إبنك ويبدأ يعرض لك لوحاته الفنية التي رسمها بيده، وألعابه التي إشتراها أو التي صنعها بنفسه.

ويحدث أحياناً كثيرة ـ وللأسف ـ أن بعض الآباء يضيقون ذرعاً لما يبديه أبناءهم فيولون وجههم عنهم، أو يستهزؤن بإهتمامات أبنائهم الطفولية التي لا تهمهم ولا تنسجم مع إهتمامات الكبار.

فماذا عسى هذا الأب ـ الذي يهتم مثلاً بحرب النجوم ـ أن ينتفع بإهتمام أولاده ببعض الرسوم التي تعكر المزاج، حسب ظنه !

بينما المطلوب المزيد من الإهتمام بقضايا الصغار وإن لم تكن تهمك أبداً.

٣ ـ صاحبهم وتحدث معهم.

لكي تبدأ بتوطيد العلاقة مع أي شخص تريد مصادقته، لا بد لك أن تقترب إليه وتصحبه معك وتتجاذب أطراف الحديث معه.

فالصحبة والحديث هما الخطوات الأولى لبناء الصداقة، إذ لا يمكن أن تكون صديقاً لشخص ما عبر الأثير، دون أن تلتقي به وتتحدث إليه وتصطحبه معك.

كذلك الأمر تماماً.. مع الأبناء، فلا يمكن أن يكونوا أصدقاءك دون أن تصطحبهم وتتحدث معهم بإستمرار وكأنهم أصدقاؤك.

* * *

قال لي بعض الأصدقاء: لم يكن والدي يصطحبني كثيراً معه، وإذا حدث وإن إصطحبني لم يكن يتحدث معي إلا نذراً قليلاً، حتى إنني ذات يوم ذهبت معه إلى سفرة لمدينة أخرى ولما رجعت كنت قد أحصيت الكلمات مثل «إذهب .. تعال .. ماذا تأكل؟ .. خذ هات .. إركب إنزل ..» إذ لم تكن تتجاوز الثلاثين كلمة، بالرغم من أنّ الرحلة دامت منذ الصباح الباكر، وحتى المساء!

إذن.. إذا أردت أن تكسب أبناءك فاصطحبهم في مذاهبك وروحاتك وأجزل الحديث النافع معهم، ودعهم يتحدثون إليك، ولا ضير من أن تتناقش معهم كما تتناقش مع أصدقائك الكبار، في أمور السياسة وأحداث اليوم.

٤ ـ كن المساعد الأيمن لهم.

إن مساعدة الأبناء، وقضاء حوائجهم من قبل الوالدين، يبين مدى

الإخلاص ويظهر الحب، وبالتالي يزيد في توطيد العلاقة ويمتنها بشكل قوي لا تنفصم بعده أبداً.

وإن من أكثر الأدوار التي يمكن للأم أو الأب أن يكون مفيداً فيها هي:

١ ـ مساعدة الطفل من المساوئ والعقبات.

٢ ـ مساعدته في إعداد الواجبات المدرسية.

٣ ـ حل المشكلات لديه.

٤ ـ إرشاده الطريق السليم في الحياة.

الجزء الثالث

ثمان طرق لكي تملك زمام أبنائك دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم

الفصل الأول

الشيء الذي يريده كل أب

ما هي المشكلة الرئيسية التي تعترضك ـ كأب ـ وأنت تقوم بتربية أبنائك؟

هذا السؤال طرحته على كثير من الآباء، فجاء الجواب ـ غالباً ـ أنّ المشكلة أو العقبة هي: «العصيان وعدم الطاعة الكاملة».

وعلّل الكثير ـ منهم ـ أن سبب سوء التربية التي حظي بها أبناؤهم، ترجع لإنفلات زمام الأبناء من أيديهم، وقد قال بعضهم بالحرف الواحد «لو كان إبني يطيعني ١٠٠٪ لكنت قد سيرته وفق منهاج تربوي صالح وناجح في نفس الوقت ولكن ماذا أفعل وولدي يخالفني ويعصيني؟».

وبالفعل فإنّ الإمام علي عليه السلام يقول:

«لا رأي لمن لا يطاع».

ويقول:

«لا ينجح تدبير من لا يطاع».

وقد لا يكون هذا الأمر مشكلة رئيسية لكل الآباء، ولكنني أعتقد أن الشيء الذي يريده ويرغب فيه كل أب هو: «أبناء مطيعين على أحسن ما يرام». وليس في ذلك ريب.

حسناً .. السؤال الآن: كيف تخلق الطاعة الكاملة في طفلك؟ للإجابة على هذا السؤال، لا مناص من طرح السؤال التالي:

لماذا يلجأ طفلك إلى مخالفة أوامرك؟

نقترح هنا أن تأخذ قلماً وورقة، وتكتب الأسباب التي تدفع إبنك للعصيان، قبل أن تقرأ السطور التالية.

وبالطبع فإن هناك إحدى عشر سبباً، تدفع ولدك لعصيانك وعدم إطاعتك وهي كما أكدها بعض الباحثين ما يلي:

١ ـ عدم معرفة الطفل بضرورة الطاعة.

٢ ـ إصدار الأوامر دون إعطاء أي رؤية وتوضيح للأمر وما يتعلق به.

٣ ـ التعامل مع الطفل، كالتعامل مع الآلة، أو التعامل مع الجندي الذي يجب أن يطيع القرار بلا نقاش.

٤ ـ أن يكون الأمر مخالفاً لرغبات الطفل.

٥ ـ عدم توفر الإستطاعة في الطفل لتحمل القرارات التي تكون فوق مستواه الجسمي والعقلي.

٦ ـ عدم مصادقة الأب إبنه.

٧ ـ فقدان الإحترام للأب.

٨ ـ إنعدام هيبة الأب وقدسيته.

٩ ـ عدم إمتلاك الأب قدرة السيطرة، على زمام الأبناء، لضعف شخصيته.

١٠ ـ سوء التربية.

١١ ـ الجهل بفنون المعاملة وإصدار الأمر.

* * *

وإذن لكي تحصل على أبناء مطيعين، لا بد لك أن تقضي على أسباب العصيان ـ السالفة الذكر ـ فإن القاعدة تقول: «الوقاية خير من العلاج».

ويقول المثل المعروف «إذا عُرف السبب بطل العجب».

بعد ذلك يكون من السهل عليك خلق أبناء مطيعين وفق إتباع الطرق الصحيحة المعاكسة للأسباب السالفة، ومحاولة تعديل المسار.

ونرجو أن يتجلى الأمر ـ جيداً ـ في الفصول القادمة.

الفصل الثاني

كيف تجعل إبنك على وفاق معك؟

حينما تريد أن تأمر إبنك بعمل أو بفعل شيء ما، أو أنك تريد أن تنهيه عن جملة الأفعال التي لا تحبذها فيه، أو أي أمر آخر تريد أن يكون إبنك على غير خلاف معك، وعلى رأي واحد متفق مع تفكيرك ونهجك .. فما هو السبيل إلى ذلك؟

وبسؤال كيف تسلس قيادة إبنك؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل ندع القارئ المحترم يتساءل في نفسه: ترى كيف يستطيع الإنسان أن يسلس قيادة شخص آخر؟ بأي طريقة وأي أسلوب؟

تماماً.. هكذا تستطيع أن تسلس قيادة أبنائك أو أي إنسان آخر.

ولعلّ الكثيرين يصلون إلى هذه النتيجة وهذا القول الذي نؤكده نحن بأن ليس إلا ثمة طريق واحد تحمل بها إبنك على أن يقبل على عمل ما.. تلك هي: أن تحبب العمل الذي تقترحه عليه.

نعم إنّ في وسعك أن تدفع طفلك إلى تنفيذ إرادتك إذا لوحت له بالسوط أو بالعصا! وبإستطاعتك أن تجعل موظفاً لديك يعمل ما تأمره به، إلى أن تدير له ظهرك غير أن هذه طرق ليست من الحكمة في شيء.

فالطريقة المهدية الوحيدة التي تجعل أبناءك يقبلون على العمل ـ أي عمل ـ هي أن تجعل ذلك العمل محببا لهم.

فالطفل أو بالأحرى الإنسان لا يمكنه أن يقوم بأداء عمل ما باندفاع ذاتي وبفاعلية من دون الإيمان بذلك العمل.

ولا يمكن أن يؤمن أحد بشيء ما لم يحب ذلك الشيء ويعرف ضرورته.

يقول أحد علماء التربية: «حينما تحبب الشيء الذي تريده من إبنك.. عندئذ لا بأس عليك من إصدار أوامرك».

ومن هنا فإذا أردت ـ مثلاً ـ أن تجعل من إبنك يلتزم الهدوء فإن خير وسيلة لذلك أن تعينه في البيت مسؤولاً عن المحافظة على الهدوء. بعد أن تكون قد بينت له فوائد الصمت ومضار الفوضى والثرثرة.

ونأتي هنا بالمثال التالي:

كانت إحدى السيدات تتبرم بالصبية الذين يلهون أمام بيتها ويفسدون الزرع النابت في مدخله.

وقد جربت معهم اللوم والتعنيف لإبعادهم ولكن بلا جدوى. وأخيراً حاولت أن تضفي على أسوأ الصبيان في العصبة وأكثرهم عبثاً، مركزاً وسلطاناً، فجعلته «جاسوسها» ونصبته مشرفاً على حديقة منزلها وأوقد «الجاسوس» ناراً خلف البيت، وحمي في قضيباً من الحديد، وهدد أن يكوي به كل من يطأ الحديقة بقدميه!

وأفضل من كل ذلك هو أن تخلق الرغبة في طفلك لكي يقدم على العمل بما تأمره بكل إندفاع وفاعلية.

يقول أب لتسعة أبناء: «لم أكن أشكو أي عناء في قيادة أبنائي، لقد كانوا يمتثلون أوامري بمجرد أن تطرف عيني أو تظهر إشارتي، ولكنني كنت أشكو عصيانهم في غيابي على الدوام.

وفكرت ـ ذات يوم ـ تغيير الطريقة في التعامل، وأصبحت فيما بعد ألتزم الأسلوب الأفضل. ذلك هو: إنني بدأت أطالع الأحاديث الشريفة، واستطعت أن أحصل على مجموعة من الأحاديث التي تبين حقوق الآباء، وتبين ثواب خدمتهم، وجزاء طاعتهم، مثل الحديث الذي يقول: «**وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك، وأنه لولاه لم تكن. فمهما رأيته في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فاحمد الله واشكره على قدر ذلك**»[1].

ثم بعد ذلك قمت بقراءتها على أبنائي بصورة مفصلة، مع التأكيد على دور الأب، والقيمة الكبرى للتعاون معه وإطاعته من أجل الحياة العائلية الأفضل.

بعد هذه العملية ـ والتي استمرت عدة أسابيع ـ كنت قد وضعت حلاً لمشكلتي السالفة الذكر، ولا أنسى أنني ـ في طريقتي الجديدة هذه ـ كنت كلما أردت أن أصدر أمراً لأحد ولدي، بينت له فوائد ذلك العمل، وألقيت في نفسه محبة نحوه.

---

(١) بحار الأنوار (ج٧٤) ص٦.

الفصل الثالث

كيف تأمر أولادك؟

يحدث أحياناً كثيرة أنّ بعض الآباء يريدون أن يحسنوا بإخلاص لكنهم لا يأمنون من الوقوع في هاوية الإساءة بسبب شيء بسيط وهو جهلهم بفن إصدار الأمر.

إنّ الذي جرت العادة عليه هو أن بعض الآباء ظنوا أن من حقهم إصدار الأوامر كزعيم نصّب نفسه على شعب يأمر فيطاع وينهي فيرتدع.

ونسي هؤلاء أنّ الأبناء بل والناس جميعاً يرفضون ما يصدر لهم من أوامر بينما لا يمانعون من تنفيذ ما يطلب منهم في صورة «رجاء» أو «تمني» أو ما شابه ذلك.

ويمكنك أن تجرب ذلك، بأن تقول لأحد أبنائك:

«إني أتمنى أن تقوم بعمل كذا..»

فهو لا شك سيحاول أن يفعل ما طلبته منه.. بينما لو أصدرت له أوامرك، فإنه قد يرد عليك بقوله: «لن أفعل». وإذا سألته: لماذا؟

فإنه يجيبك بشيء مبهم غير صحيح، ولربما يقول ويفعل حياء أو خوفاً منك، وفي واقعة يقول: «لماذا يجب علي إطاعة الأوامر؟»

إننا حين نقرأ القرآن الكريم نجد أن الله تعالى كثيراً ما يصدر أوامره في

صيغة تمني أو ترجي، أو في صيغة «يريد الله» أو أنه يذكر صفات المتقين وعبادة الصالحين، بدون أن يطلب من الناس مباشرة وبفرض أن يتقوا.. فكان يحسّن إلى الناس الإيمان والتقوى، عبر ذلك.

يقول تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(١).

فهو بدل أن يصدر أوامره قائلاً: (يا أيها الناس آمنوا بالغيب وأقيموا الصلاة وانفقوا).. يصف المتقين بذلك.

أو مثلاً بدل أن يصدر أوامره الأخلاقية يصف عباد الله الصالحين بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾(٢).. [إلى آخر الآيات].

وهكذا فإنه يجند إليك صفات المتقين، وعباده الصالحين بهذا الأسلوب الرفيع.

وإذا كان الله ـ وهو جبار السماوات والأرض، لا يصدر مطاليبه دائماً، في ص[illegible]ـوامر فلماذا تصدر أنت لمن تحتك الأوامر دائماً!!

[illegible]ري بك أن تجرب مع أبنائك، فبدل أن تقول لأحدهم: «إفعل هذا وذاك» أو «لا تفعل هذا ولا تفعل ذاك» قل: «هل لك في أن تفعل هذا؟» أو «إني أجد أن من الأفضل لك أن تفعل كذا» أو «أتظن أن من الأصوب أن تفعل ذلك» فإنك بذلك تفسح لهم المجال لكي يتصرفوا من تلقاء أنفسهم وفق ما تحب وتريد.

---

(١) البقرة: ١ - ٣.

(٢) الفرقان: ٦٣ - ٦٤.

ذلك لأنه من الممكن أن ينفّذ أبناؤك أوامرك ولكن إذا صدر لهم الأمر في صورة تمنيات ورجاء، فإنهم حينئذ يندفعون من أنفسهم إلى تنفيذه، بينما صدوره في صورة «أمر» يجعلهم ينفذونه، بمقدار، «إسقاط الواجب» أو «الخوف من العصى».

فالتمنيات تدفع أبناءك إلى الإستجابة لها في إطار «العطاء» بينما الأوامر تدفعهم إلى تنفيذها بمقدار ما يقدم العذر..

وهناك فرق كبير بين العطاء، وبين التنفيذ، فصاحب العطاء يحاول أن يأتي عمله في أحسن ما يكون، بينما صاحب التنفيذ يحاول أن يأتي عمله بمقدار الواجب فحسب.

ثم إنّ أسلوب الإقتراحات والتمنيات، يجعل من السهل على إبنك ـ أو على أي شخص آخر ـ أن يصحح خطأه، لأنه يحتفظ له بكبريائه، ويشيع فيه الإحساس بالأهمية ويسلس قياده، ويدفعه إلى الطاعة بدل أن يحفزه إلى العناد.

إذن..

لكي تصلح أبناءك، وتؤثر فيهم قدّم أوامرك في صورة إقتراحات أو تمنيات وتجنب إصدار أوامرك بصورة مباشرة وجافة.

وتذكر دائماً هذا الأسلوب الجميل الذي دأب عليه بعض الآباء مع أبنائهم، حالما تريد أن تصدر أوامرك، ولا بأس بأن تحفظه نصاً:

«ولدي الحبيب إني طالما أبحث عن أفضل الطرق التي تستطيع بها أن تحرز نجاحاً وتقدماً في حياتك.. ولقد وجدت في هذا السبيل أن تقوم بعمل كذا.. ولك خالص شكري على طاعتك لي مسبقاً».

الفصل الرابع

دع إبنك يحتفظ بماء وجهه

ذات مرة جاء رجل إلى الإمام علي عليه السلام، وطلب منه شيئاً لقضاء حوائجه، فأعطاه الإمام ما طلب منه، ثم بكى، فتعجب الأصحاب من ذلك، وتساءلوا:

- ما الداعي إلى البكاء؟

فقال لهم الإمام:

- أبكي لأنه أراق ماء وجهه بإضطراره إلى السؤال ثم أردف قائلاً:

- أخاف أن لا يكون لي أجر عند الله، لأن الأجر إستلمته مقابل إراقة ماء وجهه!

* * *

وفي الإسلام لا يجوز للإنسان أن يريق ماء وجهه لأحد، فكيف به وهو يريق ماء وجه غيره؟

وفي الحقيقة فإن مشاعر الإنسان - الصغير والكبير - ليست من الخرسانة المسلحة، بل هي من الزجاج، والزجاج ينكسر من صدمة حجر صغير، وإذا انكسر فلا يمكن إعادته إلى وضعه السابق من دون أن يترك أثراً.

يقول الشاعر:

جراحات السنان لها التيام ولا يلتأم ما جرح اللسان

فلا يجوز أن تؤذي مشاعر طفلك، وتريق ماء وجهه أمام الآخرين، واعلم أن ذلك يصنع جرحاً غائراً لا يندمل بسهولة.

وقد أثر عن الرسول الأكرم أنه كان ﷺ يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسميه. فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله. فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال.

فيقول ﷺ لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ من دعائه أو تسميته فيبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم، فإذا إنصرفوا غسل ثوبه[1].

* * *

وروي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ـ مرضعة الحسين عليه السلام ـ قالت: أخذ مني رسول الله ﷺ حسيناً أيام رضاعه فحمله فأراق ماءً على ثوبه، فأخذته بعنف حتى بكى.

فقال ﷺ: مهلاً يا أم الفضل إن هذه الإراقة، الماء يطهرها فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين؟[2].

أما نحن فنعمد إلى إيذاء مشاعر الآخرين، ننتقد الطفل علناً وأمام الأغراب، دون أن نقدر الجرح الغائر الذي نصيب كبرياءهم، بينما بضع دقائق من التفكير، وكلمة مهذبة أو إثنتان وإختيار المكان والوقت المناسب للأمر والنهي والتقريع، كفيلة بأن تخفف من وطأة اللطمة وتكسر حدّتها.

(١) بحار الأنوار (ج٦) ص١٥٣.

(٢) هدية الأحباب ص١٧٦.

فدعنا نذكر هذا في المرة الثانية التي تواجهنا فيها نصح طفل أو لومه.

وخير طريقة للمحافظة على ماء وجه إبنك هي أن لا تدعه يشعر بالغبن والتقصير أمام الآخرين.

فإذا ما إعتلى إبنك الصغير ـ مثلاً ـ دراجة كبيرة وخشيت عليه من السقوط، فلا تنظر إليه شزراً وتصرخ به، وتقول له أمام الآخرين إنزل!! أو تنزله بعنف.

هنا وفي حالات أخرى متشابهة عليك أن تتوسل بالطرق المهذبة، كأن تحاول جر إبنك إلى مكان آخر، وتقوم بإرشاده ونصحه هناك لوحده.

وخير نصيحة تقدم في هذا المجال هي: الجأ إلى التفكير الدائم ولا تتسرع، فإنك ستظفر بأفضل الطرق والأساليب التي تدع إبنك يحتفظ بماء وجهه، بل وربما يحس بالفرح والغبطة بما تفعل وتقول.

يذكر منذ سنوات مضت كانت إحدى شركات الكهرباء تواجه مهمة دقيقة هي إقالة أحد الأشخاص من رياسة أحد أقسامها!

كان هذا الشخص عبقرياً في الكهرباء، ولكنه ما إن عين رئيساً لقسم الحسابات بالشركة حتى أظهر عجزاً فاضحاً، وبرغم ذلك لم تجرؤ الشركة على إنتقاده أو الإساءة إليه.

إذ لم يكن لها غنى عنه، وكان هو شديد الحساسية مرهف الشعور فكيف حسموا هذه المشكلة الدقيقة؟ لقد أضافوا عليه لقباً جديداً جعلوه «المهندس المستشار للشركة» ثم نصبوا شخصاً آخر لرياسة قسم الحسابات.

وقد سرّ هذا الشخص الأول لهذا اللقب، وسرّ كذلك مدير الشركة فقد حلّوا مشكلة دقيقة حساسة دون الإساءة إلى هذا الإنسان.

* * *

وإليكم المثل الآخر:

بعد معارك طاحنة وقعت بين المسلمين وأعدائهم إنتصر الجيش الإسلامي، وجيء بالأسرى إلى رسول الله ﷺ، وكانت فيهم «سفانة إبنة حاتم الطائي».

فلما وصلوا إلى المدينة المنورة وقفت سفانة أمام النبي قائلة:

ـ يا محمد ! أنا إبنة سيد قومي، وإنّ أبي كان يحب مكارم الأخلاق، وما جاءه طالب حاجة إلا وردّه بها وبأحسن منها.

فقال رسول الله ﷺ: من أبوك؟

قالت: حاتم الطائي.

قال: حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه.

ثم أردف قائلاً: أطلقوها كرامة لها!

فقالت: أنا؟ أم أنا ومن معي؟

قال: أطلقوا من معها كرامة لها.

ثم أمر النبي بحمر النعم (الإبل والبقر) فأعطى لها حتى سدّ ما بين جبلين.

فقالت: يا محمد هذا عطاء من لا يخاف الفقر!

فقال رسول الله ﷺ: هكذا أدبني ربي فأحسن تأديبي.

ثم قالت: أي محمد! هل أدعو لك؟

فرفع النبي يديه.

فقالت: أصاب الله ببرك مواقعة، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة قوم إلا وجعلك سبباً لردّها عليهم.

فقال النبي ﷺ آمين. ثم أرسلها مع جماعة لإيصالها إلى أهلها ـ هي مشركة وإبنة مشرك ـ وبعد ذلك إلتفت النبي إلى أصحابه وقال قولته الشهيرة:

«إرحموا ثلاثة: ـ وحق أن يرحموا ـ عزيزاً ذل من بعد عزه، وعالماً ضاع بين جهال، وغنياً إفتقر من بعد غناه».

وهكذا! إحتفظ ﷺ بماء وجه هذه الأسيرة وساعدها وأعطاها ما لم يخطر ببال.

فلماذا لا نتعلم من رسول الله ذلك؟

* * *

وليكن في خلدك أنك حينما تحافظ على كرامة طفلك، وتتجنب إراقة ماء وجهه، فإنه سيكون إلى طاعتك أقرب من معصيتك.

وهكذا هو الحال مع كل الناس، لأنه من الطبيعي أنّ الذي تريق ماء وجهه يحاول أن يرد الإعتبار لشخصه، فيمتنع عن الإستجابة لأوامرك، بل وربما يقوم بردة فعل مضادة، فيسبك أو ينعتك بسوء مثلاً.

وقد أثبتت التجارب أن المدراء والآباء الخافقين في إستحالة من هو تحت أيديهم هم الذين لا يؤدون إهتماماً لمشاعر الناس وأحاسيسهم.

بينما من يهتم بالحفاظ على كرامة الآخرين ينجح في تطويعهم إليه وبسهولة بالغة.

وفي القصة التالية خير مثال على ذلك:

يقول أحد المؤلفين:

«لقد اكتسبت أنا أكثر خبرتي بطبائع البشر أثناء نزهاتي راجلاً أو راكباً، في حديقة بجوار منزلي، وأنا أحب شجر البلوط حباً جماً، لذلك طالما ساءني أن أرى هذه الأشجار الباسقة تقتلها الحرائق المتكررة.

ولم تكن تلك الحرائق ناجمة عن إهمال المدخنين، ولكن معظمها كان ناشئاً عن أولئك الصبيان الذين يقصدون إلى الحدائق ليتشبهوا بأجدادهم الأولين ويطهوا طعامهم على نار يوقدونها تحت جذور الأشجار!

وكانت هناك لافتة تنذر كل من يشعل ناراً بالحبس أو الغرامة ولكنها نصبت في مكان من الحديقة غير منظور، وقل من الرواد من وقع بصره عليها! وكان أحد رجال البوليس الراكبين موكلاً بالإشراف على هذه الحديقة، ولكنه لم يكن يتشدد في أداء واجبه حيال هؤلاء الصبية فاستمرت الحرائق تتكرر موسماً بعد موسم.

وفي إحدى المرات هرعت إلى الشرطي وقلت له النار تنتشر بسرعة في أرجاء الحديقة، وطلبت إليه أن يستدعي رجال المطافئ ولكنه أجابني في جمود بأن هذا ليس من إختصاصه ما دامت النار لم تنتشر في منطقة نفوذه.

ودبّ اليأس في نفسي، وعولت بعدها أن أعمل كما لو كنت «لجنة» موكلة بحماية مصالح الجمهور.

والحق أنني لم أكن أهتم بما يهم الصبيان في مبدأ الأمر فكنت إذا رأيت ناراً مشتعلة هرعت إلى مصدرها ونهرت الصبية وأنذرتهم بإبلاغ البوليس إن هم لم يطفئوا النيران.

نعم لم أكن أريد على أن ألقي بالحمل الذي يثقل كاهلي دون إعتبار لكرامتهم! وماذا كانت النتيجة؟ كان الصبية يطيعون والعناد باد في وجههم، ومن المحتمل أنهم كانوا يعودون إلى إشعال النار بعد إنصرافي، ويتمنون لو أنها أتت على الحديقة بأكملها.

وبمرور السنين إكتسبت بعض الخبرة بالطبائع الإنسانية وبعض المعرفة والكياسة.

وعندئذ إنصرفت عن إصدار الأوامر، وكنت بدلاً من هذا أذهب إلى الصبية وأنا ممتط جوادي، وأقول لهم شيئاً كهذا:

«لعلكم تتمتعون بوقت طيب أيها الرفاق، ماذا تطهون للغذاء؟ .. لقد كنت ـ وأنا مثل سنّكم ـ شغوفاً بإشعال النار مثلكم تحت جذوع الأشجار لأطهو طعامي، وما زلت أحن إلى ذلك، ولكن ... أتدرون أنّ في إشعال النار خطراً يهدد هذه الحديقة الجميلة بالدمار أنا أعلم أنكم لا تنوون شراً، ولكن ثمة صبية غيركم يأتون إلى هنا ويشعلون النار ثم لا يطفئونها وهم عائدون إلى بيوتهم، فتنتشر بين الأغصان الجافة، وتلتهم هذه الأشجار الباسقة! نعم إنها مخالفة للوائح إن تشعلوا النار هكذا ولكنني لا أريد أن أتخذ هيئة المتسلط وأتدخل في لهوكم، إني أحب أن أراكم تستمتعون بوقت طيب، ولكن.. هلا تفضلتم بإزاحة هذه الأغصان بعيداً عن النار، واعتنيتم بإهالة التراب على النار قبل إنصرافكم إلى بيوتكم. وفي المرة القادمة هل لكم أن تشعلوا النار على سفح التل؟ إنها لا ضرر منها هناك، شكراً جزيلاً أيها الرفاق وأرجو لكم وقتاً طيباً».

ما الفارق بين هذا الضرب من الكلام وذاك؟ إن هذا الضرب الأخير جعل الصبية يرغبون في أن يعملوا بنصيحتي، فلم تنطق وجوههم بالاستنكار والعناد. ذلك لأنهم لم يرغموا على إطاعة الأوامر، واحتفظوا بكرامتهم كاملة غير منقوصة.

غداً قبل أن تسأل ابنك أن يطفىء ناراً، أو يشتري خبزاً من خباز، أو يتبرع لهيئة خيرية، لماذا لا تتمهل لحظة وتغمض عينيك، وتحاول أن تفكر بأنجح الطرق الغير مباشرة وتقوم بتنفيذها. وقد يستغرق هذا وقتاً، ولكنه سيكسبك أبناءك ويجزيك نتائج باهرة في الطاعة وعدم العصيان.

الفصل الخامس

إمتنع عن إستخدام العصا

قمت ذات مرة بإدارة وتدريس جمع من الأطفال في معهد خاص للتربية، وخلال تلك المدة إكتسبت بعض الخبرة بطبائع الأطفال، وبعض المعرفة في التربية التطبيقية.

وقد استطعت أن أكتشف مستوى نجاح الآباء وإخفاقهم في التربية من خلال شخصيات أبنائهم، وكان ممن رأيت إبناً في التاسعة من عمره لقد كان هذا أفضل الأولاد على الإطلاق من ناحية الذكاء والطاعة، والمبادرة، والشجاعة، والإلتزام، وكل الصفات الخيرة، وكانت الطاعة بالخصوص صفته المتميزة.

ولكي أكتشف السر في ذلك إلتقيت مع والده وطرحت بعض الأسئلة عن سبب نجاحه في التربية، وبالخصوص عن كيفية خلق صفة الطاعة التامة في ولده، فأجاب الأب هذا إجابات حكيمة، والشيء المهم الذي قاله هو عدم إستخدامه الضرب ولا لمرة واحدة خلال تربيته لأبنائه.

وأتذكر إنني لم أكن أعصي أمراً لوالدي قط، وكنت أقوم بإطاعته لمجرد أن يشير لي أو يتفوه بكلمة، لم يكن ذلك خوفاً من العصي، إذ إنه لم يضربني طوال حياتي إلا لمرة أو مرتين وبصورة طفيفة.

وقد تبين أنّ أكثر التلاميذ المتمردين على أساتذتهم ـ خلال بحث أجري

في بعض مدارس البنين الإبتدائية ـ هم الذين لم تسلم جلودهم وظهورهم من الضرب، سواءً من قبل الأم أو الأب.

بينما ثبت العكس ـ تماماً ـ إن كل المطيعين هم أولئك الأطفال الذين لم يمارس بحقهم الضرب.

يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«لا تضربوا أطفالكم على بكائهم، فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه».

وهنا قد تسأل: إذن ما هو الحل مع طفل مشاكس؟

الجواب:

أولاً: يجب أن تقوم بتربية إبنك منذ البداية، أي قبل أن يكون مشاكساً أو سيئاً، وتحل المسألة من الجذور. ولقد قال الإمام علي عليه السلام لإبنه الحسن: **«فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك»**!

ثانياً: إهجر إبنك لفترة قصيرة، حتى تشعره بأنك غير مرتاح لسلوكه وفعله، وهذه لعمري أفضل طريقة لإشعار الأبناء بتقصيرهم، ومن ثم إرتداعهم ورجوعهم إلى الصواب.

لقد جاء في الحديث الشريف أن بعض الصحابة قال: شكوت إلى أبي الحسن عليه السلام أبنائي فقال: **«لا تضربه واهجره ولا تطل»**![1]

ونحن هنا لكي نبين خطأ إستعمال العصي، يكفي أن نورد مساويء الضرب، وندع القاريء ليختار بنفسه الطريقة التي يراها هي الأفضل.

---

(١) بحار الأنوار (ج٢٣) ص١١٤.

إليك بعض مساويء الضرب:

١ ـ فقدان المحبة والإحترام.

فالطفل الذي لا يجد غير العصي ولا يرى غير الأيدي التي تبطش به يكون أبعد عن حب وإحترام والديه من ذلك الذي لم يجد الضرب.

* * *

والمثال التالي يبين ذلك .. الطفلة (س) .. عمرها ١١ عام .. دأبت هذه الطفلة على أن تلح على أمها لتأتي يومياً إلى المدرسة وتعود بها إلى المنزل، ولكن الأم أصرت على أنها يجب أن تركب (الأوتوبيس) أو التاكسي.. في الأيام التي تحول مشاغل الأم دون ذهابها (أي الأم) إلى المدرسة لإحضارها.. وذات مرة ثارت الطفلة (س) بعد هذه المحاولات المعتادة ثورة شديدة، ثم حدجت أمها بنظرة ملؤها الحقد والمرارة وصرخت فيها قائلة «إسمعي.. إنني أكرهك لأنك لم تحبيني مطلقاً.. إنك لم تصنعي لي أي شيء مطلقاً.. وكنت معي باستمرار ساخرة وعنيفة».

والقصة لم تتوقف عند هذا الحد.. بل قالت الأم لإحدى جاراتها: «لقد صدمتني عبارات إبنتي لأول وهلة وشعرت بالألم والحسرة والضيق.. ولكن الذكريات تتابعت فجأة في خاطري.. وذكرت عهد الطفولة.. طفولة إبنتي ومشاجراتي مع أبيها دائماً بشأن أمورنا المالية والمعاشية، تذكرت كذلك أني كنت أعالج شؤونها بدون وعي في كثير من الأحوال.. إنني أذكر كم غضبت مني وأنا أعاقبها بالتعنيف.. وأذكر إننا كنا نقوم بضربها لتقلع عن طباعها السيئة المتقلبة.. وها أنا أرى أنها ما زالت تحتفظ بإستيائها مني.. وكرهها لي.. وأنّ غضبها إزداد بعدم ذهابي لإحضارها من المدرسة.. فأضافت هذا الغضب إلى

غضبها الدفين الذي كان مصدره إنني كنت أعالجها بالضرب بدلاً من التوجيه والتأديب بالكلام.

وللأسف الشديد إنّ بعض الآباء يظنون أنّ التأديب يعني الضرب والأب أو الأم التي لا تضرب أبناءها تعتبر غير مؤدبة!! بينما الحقيقة أن الضرب يعتبر أسلوباً خاطئاً في التربية والتأديب.

٢ ـ الضرب يستثير العناد.

في الحقيقة إنّ الطفل الذي يتعامل معه بلغة العصي، لا يكون مطيعاً في أغلب الأحيان. بل، ولربما يؤدي به الضرب إلى العناد وعدم الرضوخ.

ذلك لأن الصغير حينما يضرب ويهان أمام الآخرين، فإنه يحاول أن يعيد ماء وجهه وكرامته بأي شكل من الأشكال، كأن يقوم بكسر زجاج النوافذ، أو تجده يتمسك بموقفه الخاطئ أو يفعل أي شيء آخر لا يرضي الوالدين.

وقديماً قيل على لسان أحد الحكماء: «أنّ من الغبن أن يلتجئ الآباء إلى العصي في التأديب، دون اللجوء إلى العقل واللسان».

وإني أتساءل: فيما لو قام أحد الأطفال بعمل مشاكس كأنه قام بتحطيم كأس الماء مثلاً، ترى أي الطريقتين هنا أفضل وأبلغ تأثيراً، هل الضرب أم التأديب باللسان والعقل؟!

إنني هنا أحاول أن أترك الإجابة لمن يسمح لنفسه بالتفكير الهادئ، ليتوصل إلى الحل الذي يراه واقعياً وسليماً.

٣ ـ الضرب يلهب الأجواء، ويسلب الهدوء.

خلال معايشتي الوسط الإجتماعي واقترابي من بعض العوائل وجدت الكثير من الآباء المتصلبين الذين ينتهجون سياسة الضرب في تربية أبنائهم.

وكان أشد ما آلمني هو حزني ليس على الأبناء المضروبين فقط بل كان أكثر حزني على الآباء.

نعم.. إنّ حزني وأسفي عايهم، لأنهم يقومون بالإساءة إلى أنفسهم، ويلحقون بها أشد الأذى وهم لا يشعرون.

فالآباء يسيئون إلى أنفسهم ـ حينما يستخدمون العصى ـ قبل الإساءة إلى أبنائهم، وذلك حينما تلتهب الأجواء، ويسودها التوتر وتحترق الأعصاب، ويعم البكاء أرجاء المنزل، وبالتالي يغيب الهدوء وتنسحب البسمة من على الشفاه.

وخصوصاً فيما إذا كان هنالك ضيف في المنزل، فإنه سيتشاءم ولربما يظن أن أصحاب البيت على غير إرتياح من ضيفهم!

ولم يحدث أن قام أحد الوالدين بضرب أحد أبنائه إلا وتعكر الجو، وسيطر التوتر على الجميع.

حتى إنني أتذكر جاراً لنا، لم يكن بيتهم يعرف الهدوء والفرح فالأم والأب كانا يعتمدان أن الضرب الوسيلة الوحيدة والدائمة في النصح والتأنيب والإرشاد.

على سبيل المثال:

حينما كان الإبن يحاول الخروج إلى فناء البيت، ولأن الأمطار كانت تبلل الأرض، كانت الأم تمنع ولدها من الخروج، إلى حديقة المنزل وبالطبع فإنما كانت ترجعه بالضرب، وكلما كان يفلت من يدها أرجعته بالصفعات وهكذا..

فإذا بها وقد أصبح شغلها الشاغل كيل الصفعات تلو الصفعات على وجنتي طفلها الوادع.

أو أحياناً كانت تضرب إبنها لمجرد أنه كان يخرج بصحبة دراجته خارج المنزل أو حينما كان ينزع نعليه، أو يرجع إلى البيت وقد تعلقت بأطراف ثوبه بعض حبيبات التراب.

وهكذا فالضرب، وإستخدام العصي كان هو الوسيلة الوحيدة لهذه الأم، وكذا هو زوجها كان أيضاً.

وبالرغم من أنّ هذا الأسلوب لم يكن يجدي ولم يترك أي أثر إيجابي يذكر، فهو أسلوب ـ في نظر الكثيرين ـ أسلوب أرعن لا يخلو من الحماقة والسفه، ولا يتعدى حدود الجهل.

ناهيك عن الإثم الذي يتعلق به، والجزاء الأليم يوم القيامة.

لقد جاء في أحكام الديات في المسائل الإسلامية الفقهية ما يلي:

«إذا احمرَ الوجه باللطم أو بغيره، فديته مثقال ونصف مثقال شرعي ذهباً (وكل مثقال ١٨ حمصة) وإذا أخضر فديته ثلاث مثاقيل، وإذا أسود فستة مثاقيل، ولكن إذا احمرّ مكان آخر من بدن الإنسان أو اخضرّ أو اسودّ بسبب اللطم فديته نصف ما ذكر».

وقد يتساءل البعض هنا: وهل تجب الدية على الأب أو الأم اللذين يريدان التأديب والتربية؟

قد لا تجب الدية في الحالات الضرورية للتأديب، ولكن أشك في عدم وجوبها في الضرب الأرعن الذي يأتي من الحماقة والجهل ولأتفه الأسباب.

لقد أبلغ الإمام علي عليه السلام بعض الصبيان وقال لهم: «إبلغوا معلمكم أن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب إقتص منه».

٤ ـ الضرب لا يحقق الردع الدائم.

قد يفلح بعض الآباء بردع أبنائهم عن فعل المعاصي والأخطاء السيئة

بالتلويح بالعصي الحارة، وقد ينجحون في ترويضهم بالترويع والتخويف.

ولكن السؤال المطروح: هل يفلح هؤلاء الآباء في ذلك بشكل دائم ومستمر؟

هل الخوف من العصي يؤثر في المكان الذي لا وجود فيه للآباء؟

إن الردع الذي منشأه الخوف من الضرب لا يلبث حتى يزول بعد أمد قصير.

بينما التوجيه والتأديب بالنصح والكلام يكون أثره طويلاً، ولربما يبقى إلى نهاية عمر الإنسان.

ولذلك ـ على سبيل المثال ـ كانت التقوى ضرورة دينية وحضارية لأنها تخلق الوازع الداخلي في الإنسان، فتصده عن إرتكاب السيئات والإنسان المتقي لا يحتاج إلى مراقبة من قبل الشرطة أو أي أحد حتى لا يسرق أو يعتدي لأنه قد وضع الله (تعالى) مراقباً عليه في السر والعلانية، ولهذا فإن خلق الوازع النفسي في الطفل خير رادع له عن إرتكاب الموبقات.

وبالطبع فإن الضرب لا يحقق الوازع الداخلي وإنما هو حل يعالج النتائج دون الأسباب والجذور، والواقعة التالية خير مثال على ذلك.

كان أحد الآباء يمسك بتلابيب إبنه، وقد أشبعه ضرباً باليمين ولم يتركه لولا تدخل الحاضرين وإنقاذ الولد.

بعد أن هدأت فورة الأب، قلت له سائلاً:

ـ لماذا كل هذا الضرب؟

قال:

لأن ولدي إعتدى على أحد الرجال!

قلت:

ـ ولماذا اعتدى؟

قال بإقتضاب:

ـ لأنه شيطان !!

قلت بعد أن إعتذرت له عن توالي الأسئلة:

ـ وما هو السبب الذي جعل منه هكذا؟

ثم أضفت قائلاً بصراحة بعد أن صمت الأب حائراً:

ـ في تصوري أنّ السبب قد يرجع للتقصير في التربية.. أليس كذلك؟؟!

قال: لا.. والله.. لقد كنت أضربه كثيراً ومنذ صغره ولكنه كان يزداد سوءاً يوماً بعد يوم!!

* * *

هذا بالإضافة إلى أن الضرب يصبح أداة غير فاعلة ويفقد قيمته، فالطفل الذي تكون حصته في اليوم عدة وجبات دسمة من الضرب فإن شعوره وإحساسه يكون ميتاً، مثلما قال الشاعر:

«من يهن يسهل الهوان عليه .. ما لجرح بميت إيلام».

إن نظرة حادة تكفي لردع الأبناء الذين لم يمارس بحقهم الضرب بينما ألف ضربة قد لا تترك أثراً في نفوس الذين تعودوا على الضرب.

تماماً.. كما قيل: إن منشوراً واحداً يهز كيان الدولة المستبدة، بينما عشرات المظاهرات المعارضة لا تخيف الحكومة الديمقراطية.

وأخيراً لنتذكر المثل التالي كلما واجهنا مشكلة مع الأبناء:

«العقدة التي تحل باليد لا تحلها بأسنانك».

ولكن.. ماذا عن العقدة التي لا تحل باليد؟

هنا لابد من حلها بأسنانك، لأن «آخر الدواء الكي» كما جاء في المثل:

ولا بأس بالضرب في الأمور التي لا تنازل فيها، مثل ترك العبادات الواجبة وإرتكاب المعاصي.

فلا بد أن يضرب الأبناء حين تركهم للواجبات الدينية، ولكن بعد أن لا يكون هناك مجال للتوجيه والتحذير المسبق، وإلا.. فلا.

تلك كانت مساوئ الضرب، فإن إجتنبتها إستطعت كسب المزيد من الراحة والإيجابيات، التي تسر ولا تضر.

الفصل السادس

اترك اللوم والعتاب

قال أحد الشبان:

«كنت في الصغر من المحافظين على الصلاة في المسجد، وذات يوم وفيما أنا أصلي، لاحظت أحد كبار السن يراقبني حتى فرغت من الصلاة.

فقال لي: صلاتك خطأ.. ثم بدأ يوجه لي كلاماً لاذعاً، كأنه سياط الجلادين، وأنا غارق في صمتي أردت أن يعرّفني بموقع الخطأ من صلاتي، رفض ذلك، وكل ما قاله لي هو أنك خاطئ في الصلاة ومثلك لا يجوز له الحضور إلى المسجد.

عندها قررت أن أترك الصلاة في المسجد، وأن أصلي في البيت وهذه الخطوة كانت الأولى لتركي الصلاة فيما بعد، وانحرافي عن طريق الإسلام، حتى هداني الله وعدت إليه ثانية الآن».

هذه القصة ليست الوحيدة التي سمعتها، فكم من شباب أخرجهم العتاب عن الإيمان؟ ذلك أنّ اللوم والعتاب والإنتقاد الجارح معاول هدم، لعلاقة الإنسان بقيمه ومبادئه. كما هي معاول هدم للعلاقات مع بني الإنسان.

إن ما يبعث على الأسف في مجتمعنا هو أن تصبح ظاهرة اللوم والعتاب - في الجانب التربوي - هي الطريقة المثلى لدى الآباء، حينما يريدون تربية أبنائهم.

فما يكاد الطفل يعمل خطأ بسيطاً حتى ينزل عليه أحد الأبوين بسلسلة من الملامة، فينتج من هذا الأسلوب التربوي طفلاً معقداً، ثم يصبح مهزوزاً في الشخصية عند الكبر.

ذلك أنّ الآباء عندما يلومون الطفل دائماً على أخطائه البسيطة فإنه ينتج من ذلك أحد أمرين:

١ ـ إما أن يصاب الطفل بعقدة الحقارة. فتنمو عنده هذه العقدة، ومع الكبر يصبح فرداً ضعيف الثقة بالنفس، لا يستطيع إقتحام العقبات.

٢ ـ وإما أن يصاب بعقدة اللامبالاة أمام الأخطاء وهذه لا تقل خطورتها عن السابقة.

ومن هنا فإن علينا أن ندرب أنفسنا وعوائلنا على عدم توجيه اللوم والعتاب، حتى نساهم جميعاً في بناء الأطفال بعيداً عن العيوب والعقد النفسية البغيضة.

ولنستمع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام في ذلك، لنستخلص منها الأسلوب الأنجح في التعامل مع الناي والأبناء حينما يخطئون أو حينما لا يقومون بواجبهم بشكل جيد.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«عاتب أخاك بالإحسان إليه.. واربط شره بالإنعام عليه».

فإذا أرسلت إبنك إلى عمل معين، ولم يؤد ذلك بالطريقة المطلوبة فلا تصدمه بلومك وتوبيخك، إنما قدم له هدية وقل له أنجز العمل في المرة القادمة بصورة أحسن..

إن ضميره في هذه الحالة سيؤنبه، وسيقوم على أثره بتحسين عمله وأداء واجبه بشكل حسن.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«العتاب مفتاح التقالي».

أي مفتاح التباغض والتنافس، فإذا أردت أن تحرك عواطف التباغض في علاقتك مع أبنائك فعاتبهم دائماً.. وإلا فاترك العتاب.

وجاء في الحديث الشريف:

«لا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب».

وحينما تقبل العذر من الأبناء فأنت بذلك إنما تحترم نفسك كما تحترم أبناءك حيث تضع نفسك فوق العتاب واللوم.

فعندما يكسر طفلك زجاجة، فلا تضربه أو تلومه، وإنما قل له: هذا خطأ وإذا لم تفعله مرة أخرى سأعطيك جائزة وإذا فعلته فسوف تخسر جائزتك لأننا سنشتري محلها زجاجة أخرى.

وقد ينفع العتاب مع الأطفال في المرة الأولى والثانية ولكنه عبر التعود عليه سيصبح ذلك أمراً عادياً عندهم، ولن يجدي فيهم شيئاً.

وما أجمل قول الشاعر بشأن اللوم والعتاب:

إني ليهجرني الصديق تجنبا فأراه أن لهجره أسبابا
فأراه إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا إبتليت بجاهل متحلم يجد المحال في الأمور صوابا
أوليته من السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

إن أفضل طريقة للعتاب، هي ترك العتاب، وقد ورد في التاريخ أن شخصاً أتى إلى أحد الأئمة عليهم السلام ووجه للإمام الشتم والسباب. ولكن الإمام سكت ولم يرد عليه.

فقال له أصحابه: يا ابن رسول الله! لماذا سكتّ عنه؟ فردّ عليهم الإمام:

ـ لقد فعلت!

إن ترك العتاب أفضل طريقة تعاتب بها إبنك إن حصل منه ما لا يليق ثم أن اللوم إضاعة للوقت.

كما أنه بداية للفساد.

وهو حتماً لا يصلح الأبناء.

واللوم يجعل الأطفال إما يشعرون بالحقارة، وإما يتمتعون بمناعة أمام اللوم والتقريع.

* * *

وإذا أحسست بالرغبة في إنتقاد أطفالك ولومهم، كلا لن أنهاك بل أرجو فقط أن تقرأ هذه المقالة ـ قبل أن تنتقدهم، فهي عبارة عن مخاطبة أب ـ لإبنه حيث يقول فيها:

«يا بني!

إكتب هذا وأنت راقد أمامي على فراشك، سادر في نومك وقد توسدت كفك الصغير، وانعقدت خصلات شعرك الذهبي فوق جبهتك الغضة.

فمنذ لحظات خلت كنت جالساً إلى مكتبتي أطالع الصحيفة وإذا بغيض غامر من الندم يطغي عليّ فما تمالكت إلا أن تسللت إلى مخدعك ووخز الضمير يصليني ناراً.

وإليك الأسباب التي أشاعت الندم في نفسي:

أتذكر صباح اليوم؟ لقد عنفتك وأنت ترتدي ثيابك تأهباً للذهاب إلى المدرسة، لأنّك عزفت عن غسل وجهك، واستعضت عن ذلك بمسحه بالمنشفة،

ولمتك لأنك لم تنظف حذاءك كما ينبغي.. وصحت بك مغضباً لأنك نثرت بعض الأدوات عفواً على الأرض!

وعلى مائدة الإفطار أحصيت لك الأخطاء واحدة واحدة فقد أرقت حساءك والتهمت طعامك، وأسندت مرفقيك إلى حافة المائدة، ووضعت نصيباً من الزبد على خبزك أكثر مما يقتضيه الذوق!

وعندما وليت وجهك شطر ملعبك، واتخذت أنا الطريق إلى محطة القطار، إلتفت إليّ ولوحت لي بيدك، وهتفت: «مع السلامة يا بابا» وقطبت لك جبيني ولم أجبك، ثم أعدت الكرة في المساء ففيما كنت أعبر الطريق لمحتك جاثياً على ركبتيك تلعب في التراب، وقد بدت على جواربك ثقوب، فأذللتك أمام أقرانك، إذ سيرتك أمامي إلى المنزل مغضباً باكياً. إن الجوارب، يا بني، غالية الثمن ولو كنت أنت الذي تشتريها لتوفرت على العناية بها والحرص عليها.

أفتتصور هذا يحدث من أب؟

ثم أتذكر بعد ذلك، وأنا أطالع في غرفتي كيف جئت تجر قدميك متخاذلاً، وفي عينيك عتاب صامت، فلما نحيت الصحيفة وقد ضاق صدري لقطعك عليّ حبل خلوتي، وقفت بالباب متردداً وصحت بك أسألك «ماذا تريد؟!».

لم تقل شيئاً، ولكنك اندفعت إليّ، وطوقت عنقي بذراعك وقبلتني وشددت ذراعيك الصغيرتين حولي في عاطفة أودعها الله قلبك الطاهر مزدهرة لم يقو حتى الإهمال على أن يذوي بها!

ثم انطلقت مهرولاً تصعد الدرج إلى غرفتك!

يا بني..

لقد حدث، بعد ذلك ببرهة وجيزة، إن انزلقت الصحيفة من بين أصابعي وعصف بنفسي ألم عات.

يا الله! إلى أين كانت «العادة» تسير بي؟! عادة التفتيش عن الأخطاء؟! عادة اللوم والتأنيب؟! أكان ذلك جزاؤك مني على أنك ما زلت طفلاً؟!

كلا! لم يكن مرد الأمر أني لا أحبك، بل كان مرده أني طالبتك بالكثير، برغم حداثتك في قرارة نفسك تعفو وتغضي.. وكان قلبك الصغير كبيراً كبر الفجر الوضاء في الأفق الفسيح.. فقد بدا لي هذا في جلاء من العاطفة المهمة التي حدث بك إلى أن تندفع وتقبلني قبلة المساء!

لا شيء يهم الليلة يا بني! لقد أتيت إلى مخدعك في الظلام وجثوت أمامك موصوماً بالعار.

وإنه لتفكير ضعيف!

* أعرف أنك لن تفهم مما أقول شيئاً لو قلته لك في يقظتك ولكني من الغد سأكون أباً حقاً، سأكون زميلاً وصديقاً.. سأتألم عندما تنام، وسأضحك عندما تضحك، وسأعض لساني إذا إندفعت إليك كلمة من كلمات اللوم والعتاب، وسأردد على الدوام - كما لو كنت أتلو صلاتي - «أن هو إلا طفل»:

لشد ما يحز في نفسي إنني نظرت إليك كرجل.. إلا أنني وأنا أتأملك الآن منكمشاً في مهدك، أرى أنك ما زلت طفلاً. وبالأمس القريب كنت بين ذراعي أمك يستند رأسك الصغير إلى كتفها.

وقد حملتك فوق طاقتك ...!

الفصل السابع

كيف تتصرف مع أخطاء طفلك؟

إن حياة الأطفال مليئة بالأخطاء، فهم يخطئون في المشي ويخطئون في الكلام ويخطئون في الأكل، ويخطئون في التصرف، ويخطئون في كل شيء، والسبب لأنهم صغار بعد لم يتعلموا الأشياء والأمور، ولم يبلغوا درجة النضج والحكمة.

ومن هنا فإذا تصرف أحد الكبار تصرفاً غير سليم يقال عنه أنه طفل!

إذن ليس غريباً حينما يرتكب الأطفال الأخطاء تلو الأخطاء طالما هم أطفال.

وحتى الكبار، فإن حياتهم لا تخلو من بعض الأخطاء، وحالات الفشل ذلك لأن الإنسان ليس معصوماً من الخطأ والزلل.

والسؤال الآن هو:

كيف يجب أن تتعامل مع أخطاء أطفالك؟

وماذا يجب أن تفعل؟

وماذا يجب أن تقول؟

وقبل الإجابة على ذلك لا بد أن نعرف أن طريقة البعض في تكبير الأخطاء، أو التغافل عنها، خاطئة فلا يجوز «عدم توقع الخطأ» كما لا يجوز تكبيره إذا وقع..

والصحيح هو التعامل مع الأخطاء كأمور «محتملة»، وفي نفس الوقت «قابلة للعلاج».

أي لا بد أن تبقي جذوة الأمل في قلب الطفل ولا تجعله ييأس من إصلاح خطئه.

إنّ الخطأ الأكبر هو حينما لا يجعل الآباء أخطاء أبنائهم «قابلة للعلاج» حينئذ فإنهم بذلك يجنون أسوأ النتائج وأبسطها تمسك الأبناء بالأخطاء وعدم تركها إلى الأبد.

وهذا ما يجب الإنتباه إليه والحذر من عدم الوقوع فيه.

ونعود إلى السؤال السابق: كيف نتصرف مع الأخطاء.. فنقول هناك أكثر من طريقة للتعامل مهم وفيما يلي نذكر أهم طريقة وهي:

عدم جرح كبرياء الأبناء إذا إرتكبوا خطأً..

تأكد أنه لا يوجد إنسان على وجه الأرض مستعد أن يستمع إلى أي كلام فيه جرح لكبريائه.. حتى ولو كان فِعلاً مخطئاً، أو مقصراً، ذلك أن نفس الإنسان عزيزة عليه ولا يقبل أن يخدشها أحد.

وقد تسأل: إذن ماذا نفعل مع المخطىء؟ هل نشجعه على أخطائه؟

الجواب: بإستطاعتك أن تدفعه إلى الإعتراف بخطئه، بدل أن تدفعه ـ عبر إشعاره بالخطأ ـ إلى الإصرار عليه..

فمثلاً: لو أنك قلت لمن أبدى رأياً خاطئاً:

«لكلامك مبرراته، ولكن هنالك رأي آخر..».

في مثل هذه الصورة، لن يرفض كلامك بسرعة، بل سيفكّر فيه.

بينما لو بدأت كلامك معه بقولك: أنت مخطىء والرأي الصحيح هو كذا.

فإنه سوف يصر على رأيه، إنتقاماً لكبريائه، وسيقول لك ـ هو الآخر ـ لا.. أنت مخطئ، والرأي الصحيح هو ما ذهبت إليه !.

فكما إنك وجهت له الكلام، دون مراعاة لمشاعره فإنه سيواجهك بالمثل، ولن تجني إلا ما زرعت.

* * *

والمثل التالي من أروع صور التعامل مع الأخطاء بصورة غير مباشرة:

«ذات يوم، رأى الحسنان ـ الإمام الحسن والحسين ـ رجلاً كبيراً في السن يتوضأ بطريقة خاطئة، وكانا صغيرين في السن.

فجاءا إليه قائلين:

ـ يا عم هل لك أن ترينا أيّاً منّا وضوءه الأصح؟

وبدأ يتوضآن، حتى أتما الوضوء. وبمجرد أن إنتهيا قال لهما العجوز:

ـ بارك الله فيكما.. وضوءكما هو الصحيح، ووضوئي هو الخطأ».

وبهذه الطريقة المهذبة نبها الرجل العجوز إلى خطئه في وضوئه، دون أن يقولا له أن وضوءك خاطئ.

ولربما لو إتبعا الطريقة المباشرة لأصر حينها الرجل على صحة وضوئه وخطئهما.

كان أحد مدراء مصانع الصلب التي يشرف عليها، فوقع بصره على بعض العمال وهم يدخنون، وفوق رؤوسهم مباشرة لافتة تحمل هذه العبارة.. «التدخين ممنوع» !.. فهل أشار إلى اللافتة وعنف عماله قائلاً! «أولاً تحسنون القراءة؟» كلا! ليس ثواب من يفعل هذا ! بل سار إلى الرجال وناول كلاً منهم سيجاراً فاخراً وقال: «سأقدر لكم صنيعكم، أيها الرفاق، لو دخنتم هذا السيجار

في الردهة الخارجية !» وقد عرفوا لساعتهم ما يرمي إليه، فأكبروا فيه إمتناعه عن لومهم ـ واللوم من حقه !ـ فهل تملك إلا أن تحب مثل هذا الرجل ؟!

وكان أحد أصحاب المتاجر يستخدم هذا الأسلوب نفسه في معاملة عماله. فقد إعتاد أن يقوم بجولة في متجره كل يوم وفي ذات يوم رأى أحد الزبائن ينتظر صابراً دون أن يعيره أحد العمال إلتفاتاً فأين كان الباعة؟ كانوا في طرف ناء من المتجر يسمرون ويتندرون!

ولم يفه بكلمة، بل تسلل في هدوء إلى ما وراء الحاجز ـ حيث يقف الباعة ـ ولبى طلب الزبون بنفسه، ثم سلم «البضاعة» لأحد عماله كي يلفها، وانصرف لحاله.

وكان أحد الخطباء قد كتب خطبه لإلقائها بمناسبة معينة وكان يتحرق شوقاً لأن تأتي خطبته أروع ما تكون. ومن ثم كتبها مرة ومرة وأودعها كل ما في وسعه من زينة وزخرفة. ثم قرأها على زوجته ولكنها ـ أي الخطبة ـ كانت ككل الخطب المكتوبة، ضعيفة، ظاهرة العيوب، ولو أن زوجته كانت سقيمة الذوق لقالت له لفورها: «ما هذا إنها فظيعة، إنك ستدفع الناس إلى النوم! كان ينبغي أن تكون خيراً من هذا، بعد الوقت الطويل الذي قضيته في ممارسة الخطابة فبحق السماء لماذا لا تتكلم كإنسان؟ لماذا لا تكون على السجية؟ إنك تسيء إلى نفسك أبلغ إساءة إذا تلوت هذه الخطبة!».

هذا ما كانت تقوله، ولو أنها قالته فأنت تعرف ماذا كان يحدث وكانت هي تعرف كذلك ! لهذا لم تقل سوى أنها تلاحظ أنها تصلح كمقال للمجلة.. أي أنها إمتدحت الخطبة وألمحت ـ في الوقت نفسه من طرف خفي، أي أنها لا تصلح كخطبة، وأدرك الخطيب وجهة نظرها فمزق الخطبة التي ضمنها عصارة ذهنه، وارتجل خطبته فجاءت آية في البلاغة والروعة!

وهكذا فنحن نقبل الإعتراف بأخطائنا، إذا أشير إليها من طرف خفي، بينما لو وجدنا من يريد أن يخطئنا مباشرة، ويأخذ منا الإعتراف بذلك، سنمتنع ونحاول الوقوف في وجهه ونبحث عن تبريرات لمعتقداتنا وآرائنا. فكيف إذن نجوز لأنفسنا أن نخطّئ الناس، ونخدش مشاعرهم؟

وقد تتساءل: ترى كيف نقوم بإصلاح الأولاد، من دون أن نخطئهم في مواقفهم؟

والجواب: أنّ الإصلاح لا يمكن إلا في أجواء الإحترام المتبادل وهذا ما علمنا القرآن الكريم، حيث قال في حوار له مع الكفار:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وبهذه الطريقة لم يجعل الآخرين في موقع الدفاع، حيث لم يصرح بكفرهم وضلالهم وإنما قال «وأنا، أو إياكم».

فلو أنك لإصلاح شخص ما ذكرت حسنة من حسناته، ثم وضحت له أخطاءه، لما رفض كلامك.

فإذا أردت أن تؤثر في أطفالك وتصلح أخطاءهم إتبع القاعدة التالية:

«ألفت الأنظار إلى الأخطاء من طرف خفي».

---

(١) سورة سبأ آية ٢٤.

الفصل الثامن

إقبل ميسورهم .. ولا تكن صعباً

ما هو المطلوب من إبنك؟ وهل يحق لك أن تأمره كما يأمر القائد العسكري جنوده؟

لمعرفة الإجابة على هذين السؤالين، لنقرأ الحديث التالي المأثور عن أبي عبد الله عليه السلام، حيث قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**رحم الله من أعان ولده على بره.**

قال: قلت كيف يعينه على بره؟

قال: **يقبل ميسوره..**

ويتجاوز عن معسوره..

ولا يرهقه..

ولا يخرق به!»[1]

إذن.. الأبناء ليسوا جنوداً أو رجال خدمة يحق لك أن تجعلهم ينفذون أوامرك الصعبة والقاسية.

إذ لا بد من التساهل معهم وإذا ما قاموا بتنفيذ الأعمال والواجبات بصورة ميسورة، فلا بد حينئذ من قبول ميسورهم هذا.

---

(١) الكافي (ج٦) ص٥٠.

ولعلّ السر في ذلك هو إيجاد الرضا وإمتصاص النقمة من نفوس أبنائك، وبالتالي فإن قراراتك الأخرى تدخل في قلوبهم برحابة.

ذلك لأن الأب الذي يكون صعباً مع أبنائه ويرهقهم، ولا يقبل ميسورهم، فإن بعض قراراته ـ بلا شك ـ ستتحطم وسوف يكسر رأيه، فالعنف لا يولد إلا العنف والدقة تولد صوتاً بحجمها.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تكن يابساً فتكسر.. ولا تكن ليناً فتعصر».

تماماً.. هكذا يجب أن تكون، فلا تحمل إبنك فوق طاقته فترهقه وتخرق به، ولا تترك الحبل على الغارب، وتدع إبنك يفعل ما يشاء دون أن تأمره بواجب أو تطلب منه عمل شيء وإنما أمر بين أمرين.

الفصل التاسع

إجعل «فنّك» مستشارك التربوي!

إذا أردت أن تملك زمام أبنائك وتحركهم نحو ما ترغب، لا بد لك أن تستشير فنك في التعامل معهم.

كيف:

قالت لي أم وهي تشرح تجربتها الناجحة في السيطرة على أبنائها من دون كبير عناء:

«خلال تجربتي مع أبنائي الأربعة إستخدمت بعض الطرق الفنية ومنها طريقة المقابلة، أي أنني حينما كنت أريد ـ مثلاً ـ أن أجعل من إبني يحافظ على نظافة ملابسه كنت أقول له: بني لو أنت حافظت على نظافة ملبسك إلى يوم كذا.. فإني سأدفع لك قيمة الصابون والماء والكهرباء والجهد بدل أن أصرفه على نظافتها.

أو كنت أحياناً أقول لهم: أن أي واحد منكم لا يعتدي على أبناء الجيران ويحافظ على الهدوء، فإن له جائزة تقديرية في نهاية كل شهر.

وبالفعل.. لقد كنت أضع مقابل كل أمر شيئاً حتى أنطلق أبنائي بإندفاع وتحرك مستمر في تنفيذ أوامري ومتطلباتي، ولربما لم يكن ذلك في أغلب الأحيان بهدف الحصول على جائزة أو أي شيء سوى مدحي وثنائي الذي كنت أسبغه عليهم أمام والدهم والآخرين أيضاً».

وأتساءل أليست هذه طريقة ناجحة؟

فلماذا لا نصنع شيئاً مقابل شيء؟

لماذا لا يقول الأب لابنه مثلاً: عليك بعمل كذا.. وعليّ بفعل كذا؟

إن لم تكن قد جربت هذه الطريقة، فحاول أن تستخدمها، وقل لولدك: إني سأقوم بصحبتك معي في المرة الثانية إن أنت أحسنت واستمعت إلى نصائحي في هذه المرة.

وحقاً ـ آنئذ ـ ستجد ولداً مطيعاً لك، وسلساً في قيادته.

* * *

تلك كانت إحدى الطرق الناجحة في هذا الصدد، فما هي الطريقة الأخرى؟

الطريقة الثانية هي كما يقول أحد الباحثين التربويين:

«إذا كنت ترغب في أن يطيعك إبنك في أوامرك ونواهيك، لا بد لك أن تصنع البديل الملائم، أي إذا كنت تريد أن تنهيه ـ مثلاً ـ عن اللعب بالتراب، حينئذ يكون لزاماً عليك أن تضع بين يديه لعبة أخرى بديلة، وإلا فإنه سوف يعود إلى لعبه في التراب حتى وإن كنت قد حذرته مراراً من مغبة العودة إلى ذلك».

فالأب مثل الطبيب.. لا يكفي أن يشخص المرض دون أن يكتب الدواء في المقابل.

وهكذا الأمر.. إذا أردت أن تحل مشكلة إجتماعية أو سياسية أو إقتصادية.

هل يكفي .. أن تشخص المشكلة فقط ؟

كلا.. لا بد لك أن تضع الحل البديل والمناسب الذي يملأ الفراغ ويرفع سبب الإشكال.

دائماً تعود على التالي:

قبل أن تأخذ الكأس من بين يدي طفلك وتدعه يصرخ.. إبحث عن لعبة.. عن وردة.. عن أي شيء آخر، وقدمه إليه، ثم اسرق الكأس من بين يديه دون أن يلتفت أو يشعر بذلك.

وبهذا تكون قد أحرزت عدة أمور:

١ ـ حافظت على الأجواء .. وتخلصت من البكاء والعويل، الذي يصحب أخذ الكأس بقوة عادة.

٢ ـ حافظت على سلامة الكأس من الكسر، لأن الطفل يحاول التمسك أكثر بما يؤخذ منه بقوة.. وهذه عادة الإنسان أنه حريص على ما منع.

٣ ـ تخلصت من حالة سلبية، وهي حالة العناد وقلعها من جذورها قبل أن تنمو وتكبر في طفلك.

إذا كنت ترغب في ذلك .. فاتبع القاعدة التي تقول:

«إجعل شيئاً مقابل شيء».

* * *

إجمال ثمانية طرق لكي تمتلك زمام أبنائك دون أن تسيء إليهم أو تستثير عنادهم.

١ ـ اقضِ على أسباب العصيان.

٢ ـ حول أوامرك إلى رجاء.

٣ ـ دع إبنك يحتفظ بماء وجهه.

٤ ـ إمتنع عن إستخدام العصى.

٥ ـ إترك اللوم والعتاب.

٦ ـ ألفت الأنظار إلى الأخطاء من طرف خفي.

٧ ـ إقبل ميسوره .. ولا تكن صعباً.

٨ ـ إجعل شيئاً .. مقابل شيء.

الجزء الرابع

السر الأكبر في تربية الأبناء

الفصل الأول

الأم .. ذلك الدور المنسي!

هل يمكن أن تنسى ذلك القلب الذي يحتضن طفلك؟

هل يمكن أن تتجاهل ذلك المهد التربوي الكبير؟

هل يمكنك أن تلغي «أم» أطفالك، ذلك الأثر الفعّال في التربية؟

كلا.. لا أحد يقول بإلغاء «الأم» من عملية التربية.. ولكن الغريب والمدهش، أن هنالك الكثير من الرجال يلغون الأم عملياً وعلى أرض الواقع.

وإلا دعنا نتساءل:

هل هنالك صورة واضحة لدور الأم في التربية عند الآباء؟

وإذا كانت الصورة.. هل هنالك تحمّل لهذا الدور؟

هل الرجال يعتمدون على زوجاتهم، ويعقدون الأمل على أدائهم لمسؤولية التربية؟

وكم هي نسبة الإعتماد إن وجد؟

ماذا عن الأمهات في مجتمعنا الإسلامي هل هنّ حقاً ذلك المعهد التربوي، والمدرسة الفاضلة لتنشئة الأطفال الصالحين؟

ذلك لأن الطفل.. يخلق في رحم أمه.. وينشأ في حضنها، ويفتح عينيه للحياة في وجهها، ويترعرع في كنفها، ويتعلم المشي على يديها، ويتعلم النطق من كلماتها وأحاديثها، ويعرف الأمور من خلالها، ويقتدي بتصرفاتها وأخلاقها ويتتلمذ في مدرستها.

وبالتالي.. فالطفل جزء لا يتجزأ من أمه، لحمه لحمها، ودمه دمها، وروحه روحها، وحبه حبها، وبغضه بغضها، وسيرته سيرتها، وأفكاره أفكارها.

وكيفما تكون الأم.. يكون الطفل.. فإن كانت صالحة نتج عن ذلك إبن صالح، وإن كانت سيئة لا تنبت غير ولد السوء.

ولقد صدق من قال: «قل لي كيف زوجتك أقل لك كيف أولادك».

إذن نستطيع القول أنّ الأم تشكل العامل المؤثر والفعال في عملية التربية وهي ذلك السر الأكبر، فكيف يجب أن تكون؟ وماذا يجب عليك تجاهها؟ وما هي المسؤولية التي من المفترض أن تقوم بها تجاه الأبناء؟

قبل الإجابة على ذلك لنا ملاحظة:

إذا كان لا بد للأطفال أن يدخلوا في مدرسة الأم سنين طويلة فإن ذلك يعني أنه لا بد من الإعتناء والإهتمام بهذه المدرسة، ولا بد من التوجه المركّز إليها، وصيانتها، وتشذيبها من المساوئ وجعلها نموذجية في المنهج والبرنامج وحسن التدريس.

وبالتالي لا يجوز تركها، بل إن إهمالها يعتبر خيانة عظمى بحق الأجيال.

أو ليس جيلنا الحاضر.. هم أطفال الأمس، الذين هم نتائج صياغة الأمهات السالفات؟

لا أحد ينكر أن تأثيرنا في المجتمع هو نابع من تأثير أمهاتنا علينا، فإن كنا اليوم ـ مثلاً ـ نصدق مع الناس، ونؤدي الأمانات إلى أصحابها، ونعمل الخير، ذلك لأن أمهاتنا لم تكن تكذب معنا قط ولم تخنا، ولم نكن نرى إلا عمل الخير والصلاح منهن.

ومن هنا.. فلا بد من تركيز الإهتمام، وصب الجهد لتربية النساء، وخلقهن خلقاً جديداً حتى يؤتين أكلهن بإذن الله عز وجل.

يقول الشاعر:

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت جيلاً طيب الأعراق

وتلك مسؤولية المجتمع ومسؤولية الزوج معاً.

ونحن هنا نتطرق إلى مسؤولية الزوج وواجباته تجاه زوجته هذه الأم، التي نعقد الأمل عليها في صناعة الإنسان الصالح ومن ثم الأمة المؤمنة.

* * *

فما هي مسؤولية «الأب المربي» تجاه زوجته «الأم المربية» ؟

نجعل ـ هنا ـ بعض النقاط الهامة، التي ينبغي لك كأب أن تلتفت إليها بالنسبة إلى أم أطفالك، وهي كما يلي:

أولاً: لا تسحق قراراتها.

تمتلك الأم هالة من القدسية والهيبة والإحترام في قلب أبنائها، وبهذا يكون كلامها مهيوباً وأوامرها نافذة، ومؤثرة في نفوس الأبناء.

ولكن الذي يفسد كل ذلك هم بعض الآباء الذين لا ننعتهم إلا بالخير، هؤلاء يسحقون قدسية الأم في أبنائهم بمرور الزمن.

وذلك حينما يتعارض رأي الزوج وزوجته في أمر ما.. فيضطر الزوج إلى أن يقول لابنه مثلاً: «إترك كلام أمك.. ما عليك.. إسمع ما أقول لك أنا.. وهكذا».

قد يضطر للتفوه بهذا القول حينما يكون عازماً على الخروج وطفله يريد الذهاب معه، وقد جاء حافياً، ولأن الأب على عجل من أمره، فإنه يأمر الطفل بالخروج حافياً.. فيمتنع الطفل عن الخروج إمتثالاً لوصايا أمه.. لكن الأب هنا يقول له: ما عليك شيء.. تعال معي!!

فيقول الطفل: إن أمي ستعاقبني!

يقول الأب: سوف أصدها عن ذلك ولا أسمح لها بالتجرأ عليك!

وبهذا يكون الأب قد سحق قرارات زوجته، وأفقد قيمتها في نفوس أبنائه، وذلك يعني بالتالي خروج الأبناء من زمام الأم.

* * *

ثانياً: إحترمها.

إن إحترامك زوجتك أمام أبنائك يزيدها وزناً وأهمية بالغة تكون لها خير رأسمال، وتعطيها قوة في الشخصية، ومتانة في التأثير.

ولعلّ عدم إحترام الزوج لزوجته وكذلك الزوجة لزوجها يعد أحد أبرز الأسباب الباعثة على إنحلال دور الأبوين في تربية الأبناء تربية صالحة ونقية.

وعدم الإحترام ـ أيضاً ـ يسقط القدسية والهيبة لكل طرف أُسيء في إحترامه.

واحترام الزوجة أمام الأبناء يعني عدة أمور:

١ ـ أن تتمنع عن الدخول في شجار معها.

٢ ـ أن لا تستهزئ بما تقول وتصنع .

٣ ـ أن لا تكيل إليها السب والشتائم.

٤ ـ أن لا تنتقدها إلا سراً.

٥ ـ أن لا تسحق قراراتها.

٦ ـ أن تصدقها وتحسن الظن بها.

* * *

ثالثاً: دعها تقرأ في هذا المجال.

إذا لم نجد الأم تقوم بدورها التربوي السليم فإن السبب الأكبر في ذلك يرجع إلى جهل الأمهات وضحالة ثقافتهن التربوية.

وحتى اللواتي يقرأن كتب تربية الأطفال.. فإني لا أعتقد أن قراءتهن تتجاوز خمسة كتب أو أقل من ذلك.

إننا نريد إعداد المرأة للتربية حتى تكون بمستوى الخبير والمستشار التربوي.

وهل هنالك من يعترض؟ لماذا إذن لا تصل الأمهات إلى درجة الإجتهاد في هذا المجال؟

ترى هل تشكو نساؤنا إنعداماً للوقت، أم إنهن يشتكين فراغاً قاتلاً في أغلب الأحيان وللأسف!!

إن هذا الفراغ الواسع الذي يسيطر على نسائنا إن لم يُستغل جيداً، فإنه

ينقضي بسفاسف الكلام، وبأتفه الأعمال، شئنا أم أبينا.. أليس كذلك؟

من هنا كان على الزوج الكريم أن يحاول إقتناء أي كتاب صالح يستعيره أو يشتريه ببعض الدراهم، ثم يأمر زوجته بمطالعته وفق رؤية واضحة ومنهاج سليم، وهدف مرسوم حتى تهتدي الطريق وتنطلق ـ لوحدها ـ تقرأ الكتب، وتطالع الأبحاث، وتستقرأ التجارب والنظريات في هذا المجال.

ولا ضير من أن تضيف إلى رفوف مكتبتك رفاً آخر يضم الكتب التي تخص تربية الأطفال.

كما لا تنس أنك مطالب بقراءتها أيضاً قبل زوجتك.

* * *

رابعاً: إتعب على تربيتها.

لا يشك أحد أن المسؤول عن تربية الفتاة هو الأب والأم، ولكن ماذا لو إنتقلت هذه الفتاة إلى بيت الزوجية.. حينئذ من سيكون المسؤول الأول عن تربيتها وتنشئتها كزوجة أولاً، وكأم ومربية للأبناء ثانياً؟

نحن لسنا مع أولئك القائلين أن المسؤولية تنتقل عن الأب بإنتقال الفتاة إلى الزوج، فالأب يبقى مسؤولاً عن إبنته، ولكن لا ننسى أنّ المسؤول الآخر هو الزوج، وتأتي مسؤوليته بالدرجة الأولى هنا.

ونحن نلاحظ أن الفتاة حينما تتزوج وتنتقل إلى كنف زوجها لتقضي حياتها في ظل شريك العمر.. نلاحظ، أن الزوجة تبدأ لتكون جزءاً من شخصية زوجها، أو تكون صورة طبق الأصل له.

وقد قيل: أن النساء على دين أزواجهن.

فالزوجة المحبة لزوجها تحاول أن تقتدي بزوجها، وهي أول الناس إلى الإيمان بأفكاره ومعتقداته، وأقرب المتأثرين به إيجاباً أو سلباً.

ولذلك يعد من السهل على الزوج تغيير زوجته أو تبديل قناعتها، وصياغتها وفق شخصية جديدة ينشؤها هو.

ومن هنا فإذا أردت أبناءاً صالحين ـ قبل ذلك ـ يكون لزاماً عليك أن تعد أمّاً صالحة، ولن تحصل على كل ذلك ما لم تقم بتربية زوجتك.

بل وتبذل قصارى جهدك في هذا السبيل أو لا تتزوج إلا من امرأة تكون ـ أنت ـ على ثقة وإطمئنان لجدارتها على التربية السليمة.

وعلى أي حال فالزوج مسؤول عن تربية زوجته وتهذيبها من كل الصفات السيئة مثل الكذب، والحسد، والغيبة، والسب والشتم، والفسق والفجور، والأنانية، وحب الدنيا، وإرتكاب المعاصي وما إلى ذلك.

وإن لم يفعل فلينتظر أبناءاً يحملون هذه الصفات.. ولا ينفع ـ حينئذ ـ نصحه وإرشاده لهم.

فمهما بلغ الأب من العلم والمعرفة، ومهما بذل الجهد البالغ في التربية والتأديب لا يستطيع تربية أبنائه على الوجه الصحيح طالما لم يعير زوجته إهتماماً وتركها على عواهنها دون تربية وتعليم.

ذلك بحكم تواجد الأبناء الكثير قرب أمهاتهم، وسرعة تأثرهم بها وبسلوكها.

هذا بالإضافة إلى أنك لو قمت بتربية زوجتك تربية صالحة فإنك ـ آنئذٍ ـ تكون قد حزت على من يشاطرك مسؤولية التربية، ويتحمل قسماً كبيراً منها.

ويصبح من الواجب الأكيد إعداد الأم لدور التربية إذا ما كان الأب لا يستطيع التفرغ بتاتاً لتربية أبنائه.

* * *

خامساً: علمها طرق التربية.

قبل أن تمارس زوجتك التربية، وأثناء قيامها بالتربية، لا بد أن تكون ـ أنت ـ المعلم والموجه والمرشد لها.

أي يكون من الجدير بك أن تعلّم زوجتك طرق التربية الصحيحة ولا تبخل عليها بما تعلم، وحين قيامها بمباشرة التربية، يحسن بك أن تكون الموجّه لها، فترشدها إلى الصواب والخطأ، عن إرتكاب الأخطاء في أسلوب التربية.

وبالطبع فإن كل ذلك يجب أن يكون ضمن أجواء يلفها الإحترام، ويسودها التفاهم والإتفاق.

* * *

سادساً: أعطها وزناً ثقيلاً.

إنّ الأب الذي يأتي إلى الدار، ويسأل زوجته عن واحد واحد من أبنائه ممن آذاها، ولم يطعها ثم يعاقب كل من ارتكب جرماً بحقها بإسلوبه المفضل، أو يجمع أبناءه ويبدأ يحثهم على طاعة أمهم، ويبيّن لهم حقوقها عليهم وعظمتها عند الله.. إن هذا الأب هو الزوج الرشيد الذي يعطي الوزن الثقيل لزوجته أمام أبنائه.

وفيما يلي بعض الأحاديث التي تبين حقوق الأم، والتي يجب أن يذكرها الأب لأبنائه:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«أما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحي

وتظللك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه»(١).

وذات يوم جاء رجل إلى النبي ﷺ **فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أباك»**(٢).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«قال موسى بن عمران: يا رب! أوصني؟ قال: أوصيك بي، فقال: ربّ أوصني؟ قال: أوصيك بي ـ ثلاثاً ـ قال: يا ربّ أوصني؟ قال: أوصيك بأُمّك، قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: يا ربّ أوصني؟ قال: أوصيك بأبيك . . .»(٣).

---

(١) بحار الأنوار ج٧٤/ ص٦.
(٢) المصدر السابق ج٧٤/ ص٤٩.
(٣) المصدر السابق ج٧٤/ ص٦٧.

الفصل الثاني

قاعدة النجاح في التربية

ذات يو م سأل أحد المواطنين الهنود أحد المستعمرين البريطانيين، وقال له:

- كيف إستطعتم إستعمارنا لأربعة قرون، ونحن أكثر منكم نفوساً وبأضعاف كثيرة؟

أجاب المستعمر البريطاني قائلاً:

- السبب الرئيسي في ذلك أننا دائماً نفكر بالجذور، ونحاول أن نصنع الحلول الجذرية، ونستبق الأحداث.

وأضاف قائلاً:

- والمثال على ذلك مسألة السيول والفياضانات التي تحدث في الهند وبريطانيا، أنكم في الهند إنما تتصرفون مع الفيضانات بعد حدوثها، فتحاولن حفر الأنهار والسواقي لجرف المياه إلى البحار أو المستنقعات، بعد أن تكون قد أحدثت إبادة جماعية لشعبكم وقراكم.

ولكننا - في علاجنا لهذه المشكلة - قد ذهبنا إلى الجبال وردمنا الهوة التي ينحدر منها السيل، وصنعنا لذلك البحيرات والسدود.

أن التفكير بالحلول الجذرية إنما هو أساس النجاح في كل الأمور وفي كل الأشياء.

والحل الجذري للنجاح في تربية أطفالك، إنما يكمن في قاعدة ذهبية ألا وهي: «الأدب الحسن».

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إنكم إلى إكتساب «الأدب» أحوج منكم إلى اكتساب الفضة والذهب».

«إن خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال».

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

«لئن يؤدب، أحدكم ـ ولداً خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم».

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابكم».

فما هو الأدب.

لكي تعرف الأدب، وتثمن قيمته ـ أيضاً ـ إنظر إلى بعض الأطفال من الذين لا يعجبك سلوكهم وتصرفهم السيء.

فماذا تجد.

إنك ستجد نقطة واحدة يتفق الجميع فيها معك، وهي: «إنعدام الأدب».

فلو رأيت من أحد سوء خلق، أو سوء تصرف، أو سوء نطق، فإنما ذلك هو نتيجة طبيعية لإنعدام الأدب.

يقول الإمام علي عليه السلام في ذلك:

«لا أدب لسيء النطق».

ثم يبين نتائج الأدب ويقول عليه السلام:

«ثمرة الأدب حسن الخلق».

وهذه سُنة ثابتة ـ مثل السنن الإلهية الأخرى ـ لا تقبل التغيير.

فالغرفة تبقى مظلمة ما لم تكلف نفسك قليلاً وتضغط على زر المصباح.

والظلم ينالك ما لم تبذل جهداً في مكافحته.

والجهل يقتلك إذا لم تدخل المدرسة وتتعلم.

وكذلك يبقى ولدك يتخبط العشواء، ويرتكب الذنوب والخطايا بحقه، وبحق الناس ـ أيضاً ـ إذا لم تبتدأه بالأدب وحسن التعليم في أموره كلها، دون إستثناء. و«لكل أمر أدب» كما يقول الإمام علي عليه السلام.

فالطفل يحتاج إلى أن تعلمه كيف يمسك ملعقة الطعام ـ مثلاً ـ والمقدار الذي يتناوله من الطعام في كل لقمة، وكيفية إجادة المضغ، وعدد وجبات اليوم، ومسألة الإمتناع عن الأكل عن الشبع، والإبتداء ببسم الله، وعدم التحديث حين الأكل، وكل آداب الطعام الأخرى.

وكما في آداب الطعام كذلك يجب أن تعلمه آداب المشي، وآداب الكلام، وآداب التعامل، وآداب السفر والحضر، وكل آداب الحياة.

والدين الإسلامي يمتاز بأنه رائد الآداب الإنسانية والحياتية، وقد وضع لكل شيء أدب، وطريقة، وسلوك. وهي موجودة في كتب المصادر الإسلامية، وبوفرة هائلة جداً[1].

---

(١) راجع كتاب مكارم الأخلاق.

الجزء الخامس

كيف يسود الحب والود بين أبنائك؟

الفصل الأول

ست قواعد لبناء «الحب» بين الأخوان

ما هي نقاط العداء بين الأبناء؟

وكيف نستطيع أن نقتلعها من صدورهم، ونزرع مكانها أشجار الحب والوئام؟

أي كيف تجعل إبنك يطبع قبلة على وجنتي أخيه بدل أن يوجه إليه الضربات؟

الجواب: تستطيع أن تقتلع جذور التباغض والعداء من بين أبنائك إذا ما عملت بهذه الوصايا التالية:

أولاً: إعرف متى تطبع القبلة وتوزع الحب.

جاء في الحديث:

عن النبي ﷺ نظر إلى رجل له إبنان فقبّل أحدهما وترك الآخر فقال النبي: «فهلا واسيت بينهما؟ ».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال والدي:

«والله لأُصالح بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأكثر له المحبة، وأكثر له الشكر وأن الحق لغيره من ولدي..».

ولكن ـ محافظة عليه منه، ومن غيره لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف أخوته..

وما أنزل سورة يوسف إلا أمثالاً لكيلا يحسد بعضنا بعضاً، كما حسد يوسف أخوته وبغوا عليه»[1].

إذن.. لا تنسى في المرة القادمة التي تريد أن تقبل فيها أحد أبنائك، أو تضمه إلى صدرك، وتعطف عليه بالحب والحنان لا تنسى عليك أن تفعل ذلك في وقت لا يلحظك فيه أبناؤك الآخرون.

وإلا.. فإن عليك أن تواسي بين أبنائك في توزيع القبلات، ويعني ذلك إذا قبلت أحد أبنائك في محضر إخوانه الصغار حينئذ لا بد أن تلتفت إليهم وتقبلهم أيضاً.

وإن لم تفعل ذلك ـ وبالخصوص إذا كنت نكثر من تقبيل أحد أبنائك دون إخوانه ـ فكن على علم أنك بعملك هذا تكون قد زرعت بذور الحسد وسقيت شجرة العدوان بينهم.

وقد أكّد الإسلام على هذه المسألة الحساسة، وأعار لها إنتباهاً ملحوظاً، حتى أنه أمر الأب أن يبدأ بالإناث ـ في العطاء ـ قبل الذكور، حيث يقول النبي صلى الله عليه وآله:

«من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج..».

ثم يضيف الرسول قائلاً:

(١) المستدرك (ج٢) ص٦٢٦.

«ويبدأ بالإناث قبل الذكور، ...».

لماذا؟

ذلك حتى لا تشعر الفتاة بالإنكسار والضعف، في مجتمع يحب الذكور، ويكره الإناث، وبالطبع فإن هذا العمل يدفع الفتاة إلى الشعور بمكانتها العزيزة بين إخوانها، ومن ثم نجاتها من مهالك الحسد والعدوان.

والمطلوب ـ في الحقيقة ـ إقامة العدل بين الأبناء سواء في توزيع القبلات أو في الرعاية والإهتمام بشكل عام.

يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

«اعدلوا بين أولادكم، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»[1].

وتحضرنا هنا بعض الأسئلة حول وضع الأخوة في الأسرة:

ـ هل الأطفال الأصغر دائماً يُحْمَون حماية زائدة؟

ـ وهل الأطفال الأكبر يجدون قبولاً أكبر أو أقل عندما يأتي أطفال آخرون؟

ـ وهل يكون المولود الأول مفضلاً دائماً؟

ـ وما مركز الإبن الأخير والإبن الوحيد؟

ـ كيف يكون موقع الإبن الجميل والإبن القبيح؟

ـ هل هنالك تفاضل بين الأبناء وعلى أي أساس يقوم؟

ـ هل على أساس الجمال أم على أساس التقوى والعمل الصالح؟

ـ وإذا كان هنالك تفاضل.. كيف يجب أن يتم إشعار الأبناء به؟

يجيب على بعض هذه الأسئلة بعض الباحثين التربويين فيقول: «عندما

---

(١) بحار الأنوار (ج١٠٤) ص٩٣.

يولد الطفل الثاني، ويأخذ بالنمو والكبر ويدرك ما حوله، لا يجد الوالدين من حوله فحسب، بل يجد كذلك في الميدان أخاه الأكبر الذي سبقه في الميلاد، والذي يفوقه قوة ويكبر عنه جسماً ووزناً.

وكلما كبر أدرك أنه أصبح في مرتبة ثانوية في المعاملة تتضح له من الأمور الآتية: نعطي له اللعب القديمة بعد أن يكون أخاه قد إستلمها جديدة واستعملها أمامه، ونعطي له كذلك ملابس أخيه القديمة بعد أن تصبح غير صالحة للإستعمال إلا قليلاً.

والذي يزيد الطين بلة، ميلاد طفل ثالث في الأسرة يصبح موضع رعاية جديدة من الوالدين. فيقل لذلك مقدار الرعاية التي كانت توجه إليه.

وهنا يأخذ الطفل الثاني ترتيباً جديداً بين الأخوة، ويصبح طفلاً أوسطاً. إن مركز الطفل الأوسط لا يحسد عليه إذ أنه يكون مهاجماً من الأمام (عن طريق الأخ الأكبر) ومن الخلف (عن طريق الأخ الأصغر).

أما عن الطفل الأخير في الأسرة، فإن مركزه تحدده العوامل التالية نجد

أولاً: أن هنالك إختلافاً في معاملة الوالدين له عن بقية الأخوة والأخوات، وميلاً لإطالة مدة الطفولة، لأن الوالدين ـ حينئذ ـ يكونان غالباً قد تقدم بهما السن وأصبح أملهما في إنجاب أطفال جدد محدود.

وفي بعض الحالات نجد أن الطفل الصغير الأخير يكون موضع رعاية خاصة وتدليل الوالدين أو من أحدهما.

وهنا تدب نار الغيرة والحقد في نفوس إخوته وتذكرنا أمثال هذه الحالات بقصة يوسف، وما تعرّض له من إيذاء نتيجة كره إخوته له، لإيثار والديه له بالعطف الزائد.

* * *

وبالنسبة إلى مسألة التفاصل، نجد أن بعض الآباء يزدادون حباً وعطفاً على أحد أبنائهم دون إخوته الآخرين، ليس لأنه الأجمل أو الأكبر أو الأخير، وإنما لأنه الأفضل نشاطاً وعملاً وخدمة لوالديه.

هنا لا بأس بهذا التفاضل إذا ما كان سراً، ولكن حذار من الطريقة السلبية التي يتم إشعار الأخوان بها؟

والطريقة السلبية ـ التي يجب إجتنابها ـ هي: أن يقول الأب لأبنائه ـ على سبيل ـ المثال ـ : لا بارك الله فيكم إنكم جميعاً لا تسوون قيمة حذاء ولد فلان !!

أو يقوم بإحترام إبنه والإهتمام به دون إخوانه وأخواته.

بينما الطريقة الإيجابية تقضي أن يقوم الأب بمدح الصفات التي يتحلى بها إبنه الصالح دون ذكر إسمه، أو حتى إذا ما إضطرّ إلى ذكر إسمه فلا بد أن يقول لهم مثلاً: إني على ثقة من أنكم ستحذون حذو أخيكم فلان في مواصفاته الحميدة، ولا شك ـ يا أبنائي ـ إن لكم قسطاً من الفضل في مساعدتكم أخاكم حتى وصل إلى هذه الدرجة من الرقي والتقدم والكمال.

بالطبع ـ عزيزي القارئ ـ إنك وجدت الفارق بين الطريقتين. ففي الطريقة الأخيرة تجد أن الأب يحاول إعطاء التفاضل لأحد أبنائه بصورة فنية دون أن يحرك مشاعر الحقد والحسد في صدور أبنائه الآخرين، تجاه إبنه المتميز لديه.

بل . . بالإضافة إلى ذلك فهو قد دفع أبناءه إلى تقليد أخيهم الصالح عبر إعطائهم الثقة في الوصول إلى مرتبته، وبصورة هادئة وحكيمة.

والتفاضل هنا لا يعني إعطاء أحد الأبناء حقوقاً أكثر وفي المقابل سلبها من الأبناء الآخرين، كأن يعطي الإبن المتميز طعاماً أكثر أثناء وجبة الغذاء أو أن نُقدم إليه الملابس الأجود واللوازم الأفضل، لا . . إن هذه الطريقة هي طريقة الحمقى والذين لا يعقلون.

إذن.. إنّ آخر ما نريد قوله في هذا الباب هو: المطلوب مزيد من الإنتباه إلى هذه الملاحظة الهامة والتعرف ـ جيداً وبحكمة ـ على كيفية توزيع الحب بين الأبناء.

* * *

ثانياً: بيّن أهمية الأخ لأخيه.

إذا كنت ترغب في أن يسود الحب والود بين أبنائك فما عليك إلا أن تبيّن أهمية الأخ لأخيه، وتشرح له عن الفوائد الجمة التي يفعلها الأخوان لبعضهم البعض.

وهنا يجدر بك أن تسرد لأبنائك الأحاديث التالية التي توضح تلك الأهمية التي يكتسبها الأخ من أخيه، وإليك بعضها:

يقول الإمام علي عليه السلام:

«الأخوان أفضل العدد».

ويقول:

«الإخوان زينة في الرخاء وعدة في البلاء».

ويقول:

«الأخوان جلاء الهموم والأحزان».

ويقول:

«من لا أخ له لا خير فيه».

ويقول:

«من لا أخوان له لا أهل له».

ويقول:

«موت الأخ قص الجناح واليد».

كما لا تنسى أن تسرد لهم قصة الإمام الحسين عليه السلام وأخاه العباس في معركة كربلاء، حيث كان العباس خير معين وناصر لأخوه، حتى أنه لما سقط على الأرض صريعاً جاء الإمام وقال: **«أخي الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي وشمت بي عدوي»**.

إذن فالأخ هو المساعد الأيمن لأخيه، وقد تجلى ذلك أيضاً في قصة النبي موسى حينما قال: **«واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري»**.

بهذه الطريقة تكون قد أشعرت إبنك بأهمية أخيه، وبالتالي قد شددت أواصر العلاقة والمحبة بينهم.

ثالثاً: إسق شجرة الحب بينهم..

الأب الناجح في التربية هو الذي يجسّم المحبة بين أبنائه ويقوم بإروائها وسقيها كل وقت.

وتسأل: كيف يتم ذلك؟ والجواب يأتيك على لسان أحد الآباء، وهو يسرد تجربته مع أبنائه، حيث يقول:

«لقد رزقني الله (عز وجل) الوليد الثاني بعد أن جاوز عمر الأول السنتين، وحمدت الله (تعالى) كثيراً على ذلك».

وكما هو الحال عند كل الأطفال ـ أخذ ولدي الأول يشعر تجاه أخيه، كما يشعر الإنسان تجاه منافسيه، كان ينظر إليه بإستغراب ودهشة وعدم رضى، وكأن علامات الإستفهام التي تدور في مخيلته تقول: لماذا إحتلّ هذا الغريب

مكاني؟ من هو هذا الجديد؟ هل يريد أن يأخذ أمي مني؟

وبدأ الحسد والغيرة تدب في نفسه حتى أنه تسلل إليه وصفعه وهو في مهده.

لقد كانت تلك هي آخر صفعة، حيث أدركت على الفور أنه لا بد من وضع حل ناجح يمنع الأذى عن هذا الرضيع.

وفكرت في الأمر ملياً حتى إهتديت إلى فكرة وسرعان ما حولتها إلى ميدان التطبيق، حيث جئت ببعض اللعب الجميلة والمأكولات الطيبة، ووضعتها في المهد عند طفلي الرضيع، ثم جئت بولدي الأكبر وأفهمته بالطريقة التي يفهمها الأطفال أن أخاه الصغير يحبه كثيراً وقد جاء له بهدايا حلوة وجميلة ثم أمرته بأن يأخذها منه، فأخذها وهو فرح مسرور لا يخامره أدنى شك في ذلك.

ومنذ ذلك اليوم لم أترك العملية هذه حيث أوصيت زوجتي بأن تقدم أكثر الأشياء التي تريد تقديمها لوليدنا الأول أن تقدمها باسم الصغير وعبره، مثلما فعلت أنا في بادئ الأمر.

وكل يوم كان يمضي كان ولدي الأكبر يزداد حباً لأخيه حتى وصل به الأمر إلى البكاء عليه فيما لو أخذه أحد الأصدقاء وقال له مازحاً إنني سأسرق أخواك منك!

* * *

كان ذلك بالنسبة للأطفال الصغار بينما السؤال الآن: كيف نزرع الحب بين الأبناء الكبار؟

تستطيع أن تحقق ذلك عبر الطرق التالية:

الطريقة الأولى: إدفع أبناءك ليقدم كل واحد منهم هدية لكل أخ من إخوانه.

سواء عبر إبلاغ كل واحد منهم بطريقة مباشرة أو عن طريق توجيههم إلى القيام بهذا العمل بطريقة غير مباشرة، أو من خلال الطريقتين معاً، وإن كنا نفضل الطريقة الغير مباشرة.

يقول رسول الله ﷺ:

«الهدية تورث المحبة».

ويقول ﷺ أيضاً:

«الهدية تفتح الباب المصمت».

الطريقة الثانية: إدفع أبناءك للتزاور والتواصل بينهم فإنه ليس هناك شيء يمتّن العلاقة والحب بين الأخوان مثل الزيارة.

والجدير بك أن تعلمهم هذه الأحاديث الشريفة التالية حتى تدفعهم ذاتياً للقيام بالتزاور فيما بينهم:

يقول رسول الله ﷺ:

«من زار أخاه في بيته قال تعالى: أنت ضيفي وزائري وقد أوجبت لك الجنة لحبك إياه»

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ملاقاة الإخوان نشرة (تلقيح) العقل وإن كان نزراً قليلاً».

ويقول رسول الله ﷺ:

«مثل الأخوين إذا التقيا، مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن من روح الله تعالى ثلاثة: التعبد في الليل ــ وإفطار الصائم، ولقاء الأخوان».

الطريقة الثالثة: إدفعهم إلى المصافحة والمعانقة فيما بينهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه، فينظر الله إليهما والذنوب تحات عنهما حتى يفترقا، كما تحت الريح الشديد الورق من الشجر».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«المصافحة تذهب الغل».

الطريقة الرابعة: إقض على الظلم والحسد فيهم.

إبحث عن أسباب الشقاق وبواعث الحقد والخصام بين الأبناء ثم إقتلعها من الجذور وازرع مكانها رياحين المودة والأخاء.

ومن أسباب الخصام السيئة هي: الإعتداء والظلم والحسد.

فلو كان أبناؤك يعتدون على بعضهما البعض ويمارسون الظلم وفي صدورهم يعشعش الغل والحسد حينئذ فلا غرابة إذا لم تجد فيهم الحب والود والأخاء.

ترى كيف يمكن أن يحب الصغير أخاه الكبير، وهو يقاسي من مرارة ظلمه وعدوانه؟

إن وجدت الكثير من الأبناء يمارسون أقسى أنواع الظلم بحق إخوانهم وأخواتهم فهم يمارسون الضرب القاسي ويسلبون حقوق الأخوان في الأكل والمنام والملبس وكل شيء.

وأحياناً كثيرة تجد أن الأخ الأكبر في العائلة يصبح مستبداً إلى آخر حد، ويقوم بإحكام سيطرته الحديدية على أخواته المكسورات الجناح، وكأنه سلطان جائر.

هنا لا بد أن يتدخل الأب ويفك القيد ويرفع الظلم، وإلا فإن الأبناء ـ كلهم ـ سيصبحون على مشاكلة أخيهم الكبير، لأن الأجواء الملتهبة تخلق من أفراد الأسرة وحوشاً ضارية، تضطر الكبير أن يستضعف الذين هم أصغر منه، وهكذا بالتسلسل حتى آخر طفل.

وهكذا الأمر تماماً بالنسبة للحسد، فالأبناء الذين ينامون على وسائد الحسد ويتلحفون بلحاف الحقد والضغينة، وتنمو في صدورهم أعشاب الغل هؤلاء الأبناء يعيشون حياة ضنكا، لا تجد للمحبة أثراً فيها.

فالحسود بطبعه ببغض الآخرين، ويكن لهم الحقد والكراهية، ولربما تسول له نفسه بالقضاء على من يحسده، كما فعل قابيل بأخيه هابيل من قبل.

من هنا فإذا ما كنت تريد أن يسود الحب والود بين أبنائك، فلا مناص من رفع أي بوادر سيئة مثل الظلم والحسد من بين أبنائك .. بل ولا بد أن تقتلها وهي في المهد قبل أن تترعرع وتكبر.

* * *

الطريقة الخامسة: إجعل الحوار والتفاهم وسيلة لحل المشكلات.

هنالك بعض الأبناء لا يعرفون طريقاً لحل المشكلات غير طريق المشاجرة والإشتباك الحاد، وكأنهم أعداء وليسوا إخواناً !

ترى لماذا لا ينتهجون سبيل الحوار الهادئ بينهم؟

بالطبع إن السبب يرجع إلى الوالدين فهما المسؤولان خلق الأجواء والعادات والتقاليد في العائلة.

لذلك .. من المفترض أن لا ينسى الآباء تعليم أبنائهم عادة الحوار والتفاهم الرزين بدل أسلوب المناقشات العصبية والمشاجرات الصاخبة.

والمسألة لا تحتاج إلى فلسفة وتنظير، إذ يكفي لأحد الوالدين أن يستوقف أبناءه ـ في حالة حدوث أول صراع كلامي ويبدأ يحل لهم المشكلة بالتفاهم والسؤال الهادئ.

ونضرب مثالاً على ذلك: كثيراً ما يحدث أن يتشاجر طفلان على لعبة معينة. ويبدأ كل واحد منهما يجر اللعبة.

هنا على الأم أو الأب أن يسرع إلى ولديه، ويحاول أن يرضي أحد الطرفين بالتنازل، مثل أن يقول لهما: ليلعب كل واحد منكما بهذه اللعبة نصف ساعة.. واحداً بعد واحد.

وهكذا على أي حال فالمهم أن ينهي المسألة بالتفاهم وبمرور الزمن يتعلم الأولاد هذه العادة الحسنة في حل أي مشكلة تطرأ لهم، فيقضون بذلك على أي سبب للخصام قبل أن يفتح عينه للحياة.

* * *

الطريقة السادسة: عرفهم .. حقوق الأخوان.

وهذه الحقوق يبينها الرسول ﷺ في حديثه التالي:

قال رسول الله ﷺ:

«للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً، لا براءة له منها إلا بأدائها، أو العفو:

١ ـ **يغفر زلته** (أن الأخ ليس ملكاً ولا نبياً وإنما هو بشر .. يصيب ويخطئ، ومن حقه على أخيه أن يغفر له زلته ويتجاوز عن خطيئته).

٢ ـ **ويرحم عبرته** (إن من واجب الأخ تجاه أخيه أن يخفف عنه حزنه ويهون عليه رزيته).

٣ ـ **ويستر عورته** (من الطبيعي أن الأخوان هم أكثر الناس معرفة بعيوب بعضهم البعض، لذلك فعلى الأخ ـ إذا ما رأى بادرة سيئة من أخيه ـ أن يسترها ولا ينشرها).

٤ ـ **ويقبل عثرته** (من صافت المؤمن، أن يمتلك قلباً كبيراً وصدراً رحباً يستوعب بها عثرات إخوانه وأخطاءهم ولا يتخذ ردة فعل سيئة تجاهها).

٥ ـ **ويرد غيبته** (أي إذا كان الأخ في مجلس ما وسمع من يغتاب أخاه، فمن واجبه أن ينهي صاحب الغيبة ويوقفه عن الإستمرار فيها).

٦ ـ **ويقبل معذرته** (ليس من الصواب ألا يعترف الإنسان بخطئه، ولكن الأعظم من ذلك أن لا يقبل الأخ معذرة أخيه حينما يأتي إليه نادماً، يقول الإمام علي عليه السلام: إقبل عذر أخيك، وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً).

٧ ـ **ويديم نصيحته** (والحق السابع للأخ على أخيه هو أن يديم نصيحته بلا ملل أو تعب).

٨ ـ **ويحفظ خلته** (أي لا بد من إدامة الصداقة بين الأخوان وتشذيبها من كل نقاط التباغض).

٩ ـ **ويرعى ذمته** (إن للمؤمن كرامة عند الله لا بد من رعايتها ومن كرامته رعاية ذمته).

١٠ ـ **ويعوده في مرضه**.

١١ ـ **ويشهد ميتته** (إذا مات الأخ لا بد لإخوانه أن يحضروا جنازته وتشيعه).

١٢ ـ **ويجيب دعوته**..

١٣ ـ **ويقبل هديته**..

١٤ ـ **ويحسن جيرته**..

١٥ ـ **ويكافئ صلته** (فإذا قام الأخ بعمل ما تجاه أخيه فإنه ـ الأخير ـ مطالب بأن يكافئ عمله، فإن قدم له خدمة فلا بد أن لا ينساها حتى يقدم له خدمة مماثلة).

١٦ ـ **وأن يشكر نعمته**..

١٧ ـ **ويحسن نصرته**..

١٨ ـ **ويحفظ حليلته** (زوجته).

١٩ ـ **ويقضي حاجته** (قضاء حاجات الأخوان من حقوق الأخوة وواجبات الأخاء).

٢٠ ـ **ويستنجح مسألته** (أي يسعى لنجاح مسائله بأي شكل كانت وفي أي مجال).

٢١ ـ **ويشمت عطسته** (فإذا عطس الأخ ـ أو أي أحد من الجالسين ـ لا بد أن يقول له الإنسان: «يرحمك الله» ويدعو له).

٢٢ ـ **ويرشد ضالته** (كثيراً ما يحدث أن يحتاج الإنسان إلى من يدله على الطريق ويرشده السبيل وهذا حق من حقوق الأخوان).

٢٣ ـ **ويطيب كلامه** (أي يقول له: طيب الله أنفاسك).

٢٤ ـ **ويوالي وليه** (أي يصادق صديقه).

٢٥ ـ **ولا يعاديه** (لا يصبح عدواً لصديق أخيه).

٢٦ ـ **وينصره ظالماً ومظلوماً** (فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه).

٢٧ ـ **ولا يسلمه** (لا يتركه فريسة عند العدو، ولا يتجاهله عند الخطر).

٢٨ ـ **ولا يخذله..**

٢٩ ـ **ويحب له من الخير ما يحب لنفسه..**

٣٠ ـ **ويكره له ما يكره لنفسه**».

* * *

بعد أن يكون أبناؤك قد تعلموا هذه الحقوق وأدّوها تجاه إخوانهم ـ حينئذ ـ لا تخشى على نور الحب من أن ينطفئ بينهم بل وكن على أمل كبير من إزدياد شعلة الحب والمودة بصورة مستمرة ودائمة.

إجمال

أجل .. لكي يسود الحب والود بين أبنائك لا بد لك أن تقوم بمراعاة الوصايا التالية:

ـ أعرف متى تطبع القبلة وتوزع الحب.

ـ بيّن أهمية الأخ لأخيه.

ـ إسق شجرة الحب بينهم.

ـ إقضِ على الظلم والحسد فيهم.

ـ إجعل الحوار والتفاهم وسيلة لحل المشكلات.

ـ عرّفهم .. حقوق الأخوان.

الجزء السادس

كيف تسعد أبناءك؟

الفصل الأول

انظر إلى ابنك من يصادق؟

يظن البعض أن سعادة الأبناء تتحقق عبر الأمور الثلاثة التالية:

١ ـ توفير أفضل الأطعمة والمأكولات المختلفة اللذيذة، والدسمة والحاوية على الفيتامينات والأملاح والحديد وكافة متطلبات الجسم الغذائية الأخرى.

٢ ـ توفير المكان الجيد والفراش الوثير، والملبس الحسن.

٣ ـ توفير الدراسة، في كل مراحلها حتى مرحلة التوظيف والعمل.

ويزيدهم البعض على ذلك ـ من الآباء ـ بأن يقوموا بإختيار الزوجة، المناسبة لولدهم أو يساعدوه على الزواج بالدعم المادي، مثل توفير المال والمسكن.

ونحن نقول: إن كل ذلك صحيح، بل ومطلوب.. ولكن هل أن سعادة الأبناء تتلخص بهذه الأمور وفقط؟

أو بالأحرى هل الذين حققوا لأبنائهم هذه الأمور، هل أدخلوهم في حديقة السعادة الخضراء؟

قد تكون السعادة هي كل ذلك.. إذا لم يكن في الحياة شيئاً آخر غير المأكل والمسكن والملبس والعمل.

ولكن ماذا نصنع، والحياة ليست هي كل ذلك؟

في الحياة: الدين بالإضافة إلى الدنيا، ولا بد من السعادة الدينية في الحياة الأولى والآخرة.

وفي الحياة: المجتمع بالإضافة إلى الإنسان، ولا بد من حسن المعاشرة مع الناس وإقامة العلاقات معهم.

وفي الحياة: الأخلاق بالإضافة إلى البطن، ولا بد من التصرف الأخلاقي الرفيع.

وفي الحياة: المسؤولية.

وفي الحياة: الفن والأدب.

وفي الحياة: الإلتزام والحدود.

وفي الحياة كل شيء وشيء.

ومن هنا، يتضح أن على الوالدين أدوار أخرى يكون من الجدير بهم الإلتفات إليها - في هذه الحياة - حتى يحققوا أكبر قدر من السعادة لأبنائهم.

ومع الأخذ بعين الإعتبار أن بعض المسائل تكون مصدراً حقيقياً لسعادة الإنسان أو شقائه.

أي قد يكون إبنك فقيراً ولكنه يكون سعيداً في ظل الإيمان والإلتزام الديني، بما لذلك من سعادة (تكتيكية) في الدنيا وسعادة (إستراتيجية) في الآخرة.

أو يكون غنياً، ولكنه يعاني البؤس والشقاء في ظل الكفر والفسق، والفجور.

وليس حديثنا ـ هنا ـ عن السعادة الإيمانية، وإنما هو حديث عن موضوع آخر هام أيضاً، وهو موضوع: علاقات الأبناء.

وأهمية ذلك نابعة من أهمية مسألة العلاقات في الحياة وما تترك من تأثيرات جمة على سعادة الإنسان أو شقائه.

ذلك لأن الصداقة والأصدقاء هما اللذان يحددان الطريق للإنسان.

ليس هذا وحسب، فالصديق قد يختار للإنسان الديانة التي يبتغيها، والسلوك الذي يرتضيه.

يقول رسول الله ﷺ:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

فالصداقة قضية خطيرة، لأن تأثير الصديق على صديقه، ليس تأثيراً فجائياً ملموساً، بل هو تأثير تدريجي، يومي، وغير ظاهر.

ومن هنا فإن الذين ينحرفون بسبب الصداقات لا يشعرون بالإنحرافات إلا بعد فوات الأوان، أو لا يشعرون بها إطلاقاً، وهنا مكمن الخطر، لأن الإنحراف الذي لا يشعر به صاحبه أخطر من أي إنحراف آخر.

وإذا أخذنا بعين الإعتبار حقيقتين هامتين وهما: قابلية الإنسان للتأثر بالأجواء التي يوضع فيها، وخاصة تأثره بالأصدقاء.

وإن تأثير الصديق ليس مرئياً، ولا فجائياً إذا عرفنا ذلك، فإننا نعرف حينئذ خطورة «الصداقة» في حياة الإنسان والمجتمع، وضرورة الإهتمام بها.

وهنا قد يرتسم تساؤل يقول:

إذا كانت «الصداقة» تنطوي على هذه الخطورة، أليس من الأفضل أن لا ندع أبناءنا يخوضون في هذا الأمر؟

الجواب:

كلا ! لا بد أن ندع أنفسنا وأبناءنا لتجربة الصداقة وإكتساب الأصدقاء.

ولكن .. بعد أن نجري عملية إختيار الأصدقاء لنا أو لأبنائنا.

فليس من الصحيح أن يتخذ الأبناء أصدقاء بلا حساب، كما ليس من الصحيح أن يعيشوا وحدهم، منعزلين عن الناس، لأن العزلة حالة حيوانية، وليس من مبادئ الإسلام.

فكما أنه ليس من الصحيح أن لا تمتلك سيارة أو بيتاً إلا أنه يجب أن يكون ذلك من الحلال، لا الحرام، كذلك ليس من الصحيح أن لا تمتلك أصدقاء، ولكن يجب أن يكون إختيار الأصدقاء مناسباً، لا عشوائياً.

ولا أعتقد أن هناك من لا يؤمن بضرورة الأصدقاء، وإلا فليبني لنفسه سجناً إنفرادياً ويقضي حياته فيه إلى الأبد.

ونأتي هنا ببعض الأحاديث الشريفة حتى تتجلى لنا أهمية «الصداقة» ومن ثم لندفع أبناءنا إلى ثمارها اليانعة، ورياحينها الزاهرة.

يقول رسول الله ﷺ:

«خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون، ويؤلفون».

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«خالطوا الناس مخالطة إن عشتم معها حنّوا إليكم، وإن متّم معها بكوا عليكم».

ويقول الإمام أيضاً:

«يقولون أن الموت صعب على الفتى.. مفارقة الأحباب والله أصعب»

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أكثروا من الأصدقاء، فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما الآخرة فأهل جهنم قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

«ما أحدث عبداً أخاً في الله، إلا وأحدث الله له درجة في الجنة».

* * *

أجل.. إذا كان ولا بد من الأصدقاء، في الحياة، ومن هنا كان لا بد على الآباء أن يحسنوا إختيار الأصدقاء لأبنائهم، كما أن عليهم أن يحسنوا إختيار الطعام واللباس والمكان الجيّد..

وعملية الإختيار هذه تتم عبر طريقتين وهما:

الطريقة الأولى: يقوم الوالدان بتحديد الأفراد الذين تصح مصادقتهم، ومن ثم يشيرون إلى أبنائهما للذهاب إليهم وربط العلاقة معهم، وبغير هذه الصورة فلا يجوز للإبن أن يصادق أحد خوف الوقوع بين يدي أصدقاء السوء.

وهذه الطريقة لا تكون بمعزل عن الخطر القاتل، الذي يقتل في الأبناء ثقتهم بأنفسهم، وإعتمادهم على ذواتهم، ليس في مسألة واحدة كمسألة الصداقة، لربما في مسائل الحياة كلها.

الطريقة الثانية: أن يبين الوالدان لإبنهما صفات الإنسان الصالح الذي يكون مؤهلاً لربط العلاقة معه ومواخاته كما يبينان ـ أيضاً ـ صفات من لا ينبغي الدنو منه ومصادقته.

وهذه هي الطريقة التي تفيض بالحسنات ولا ضير ـ بعدئذ ـ من أن يشير الآباء إلى بعض الأفراد كمثال مجسد للصفات الحسنة ويأمروا أبناءهم لمصادقتهم.

فما هي تلك الصفات التي يجب أن نبينها لأبنائنا، حتى يختاروا أصدقاءهم ـ هم ـ بأنفسهم في كل مكان وزمان؟

والجواب:

أولاً: صفات الذين تصح مصادقتهم، وهي:

واحد: العلم.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«خير من صاحبت ذوو العلم والحلم».

ويقول أيضاً:

«عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب، كيف لا يصحب العلماء ؟».

ويقول أيضاً:

«ينبغي للعاقل أن يكثر من صحبة العلماء والأبرار».

وفي حديث آخر: **«إعلموا أن صحبة العالم، واتباعه دين يدان به، وطاعته مكسبة للحسنات، وممحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمن، ورفعة في حياتهم، وفي مماتهم، وجميل الأحدوثة عند موتهم»**.

وقد جاء في المروي عن لقمان الحكيم قوله:

«يا بني .. جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن القلوب لتحيا بالحكمة، كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر».

إثنين: الحكمة.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«صاحب الحكماء، وجالس العلماء، واعرض عن الدنيا».

ثلاثة: العقل.

يقول الحديث الشريف: «عدو عاقل خير من صديق جاهل».

وجاء أيضاً: «فساد الأخلاق معاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق معاشرة العقلاء».

وفي حديث آخر: «لا تصحب إلا عاقلاً تقياً، ولا تخالج إلا عالماً زكياً، ولا تودع سرك إلا مؤمناً وفياً».

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«من صاحب العقلاء وقر».

ويقول عليه السلام: «معاشرة العقلاء تزيد في الشرف».

أربعة: الزهد.

الطائفة الرابعة، الجديرة بالصداقة، هم الأبرار من الأتقياء والزهاد الذين يذكرون الإنسان بالآخرة ويدفعونه إلى الإلتزام بالتقوى».

يقول الحديث الشريف: «ليكن جلساؤك الأبرار وإخوانك الأتقياء والزهاد لأن الله تعالى يقول في كتابه: «الأخلاء يومئذ بعضه لبعض عدو إلا المتقين».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إحذر أن تواخي من أرادك لطمع أو

خوف أو فشل أو أكل أو شرب. واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإن الله (عز وجل) لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق منهم».

وجاء في الحديث أيضاً: «إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة».

خمسة: الخير والفضيلة.

يقول الحديث الشريف: «أسعد الناس من خالط كرام الناس».

وجاء أيضاً: «عاشر أهل الفضائل تنبل».

ويقول حديث آخر: «قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم».

ستة: الصدق والوفاء.

يقول الحديث الشريف: «عليك بأخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء».

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام:

«إياك ومخالطة الناس والأنس بهم، إلا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فأنس به، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية».

سبعة: الخلق الكريم.

يقول الحديث الشريف: «لا تجالسوا إلا عند من يدعوكم إلى خمس، من الشك إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة في الدنيا وأمورها إلى الزهد».

* * *

ثانياً: صفات الذين لا تصح مصادقتهم، وهي:

واحد: الحمق.

يقول الإمام علي عليه السلام لولده الحسن: «**يا بني إياك ومصادقة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك**».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«**من لم يتجنب مصادقة الأحمق يوشك أن يتخلق بأخلاقه**».

إثنين: البخل.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«**إياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه**».

ثلاثة: الفجور.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخين كافراً ولا يخالطن فاجراً، ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان كافراً فاجراً**».

وذات يوم قال الإمام الكاظم عليه السلام لرجل من أصحابه: ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ فقال: إنه خالي.

قال الإمام: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإما جلست معه وتركتنا، وإما جلست معنا وتركته.

فقال: هو يقول ما يشاء، أي شيء علي منه إذا لم أقل بقوله؟

فقال له الإمام عليه السلام: أما تخاف أن تنزل نقمة فتصيبكم جميعاً؟

أربعة: الكذب.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب، يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: «ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة:

الماجن، والأحمق، والكذاب، أما الماجن فيزين لك فعله، ويحب أن تكون مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومقارنته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عليك عار، وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش، ولا ينقد حديثك، وينقل إليك الحديث، كلما أفنى أحدوثة مطها بأخرى حتى يحدث بالصدق فما يصدق ويغري بين الناس بالعداوة فينبت السخائم (الأحقاد) في الصدور فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم».

* * *

وإليكم ـ الآن ـ بعض المقترحات النافعة في هذا المجال وهي:

١ ـ لا تنسى المراقبة ميدانياً.

بعدما تكون قد بيّنت لإبنك صفات الذين يجب مصادقتهم، والذين ينبغي الإبتعاد عنهم ـ عندئذ ـ ينبغي عليك أن تكمل المشوار، ولا تنسى أن من مهمتك الدائمة هي الإشراف والمراقبة حتى تتدخل عند الضرورة لإنتشال إبنك من صديق سوء، يكاد يجرفه إلى الهاوية.

ولكن حذار أن تتحول إلى «شرطي» تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في شؤون إبنك الإجتماعية.

٢ ـ إدفع إبنك إلى المزيد.

ليكن في خلدك أن كسب المزيد من الأصدقاء الصالحين، يعد أكبر مغنماً يحققه أبناؤك من أجل النجاح في الحياة.

فالأصدقاء هم جناح الإنسان الذي يطير به.

لذلك فلا تتردد في دفع أبنائك إلى مصادقة الأخيار من أترابهم.

٣ ـ علّمهم فنون الصداقة.

للصداقة مع الناس فنون كثيرة، عليك أن تبحث عنها وتقدمها لأبنائك.

٤ ـ مصادقة أصدقائهم.

لكي نعرف قيمة هذه الوصية، لنتصور كم هو حجم الفرح والسرور، الذي يعم قلوب الأبناء حينما يكون الأب مثلاً قد دعى أصدقاء إبنه، إلى الجلوس معه في بيته، لتبادل أطراف الحديث عن الدراسة، والهوايات، والطموح لكل واحد منهم.

ذلك من الجميل جداً، بالإضافة إلى أنه يساعد على: إشعار الإبن بأهميته وشخصيته، ويكشف للأب ـ من جانب آخر ـ هوية هؤلاء الأصدقاء الذي يصادقهم إبنه.

الفصل الثاني

إتعب على الوليد الأول

يحتل الوليد الأول مكانة ذات أهمية بالغة، وخطيرة في العائلة، لما يلعب، من دور هام في التأثير على إخوانه التالين من بعده.

فالطفل ولأنه يقلد الذين يكبرونه سناً، تجده يكون نسخة طبق الأصل عمن يكون معه وأمامه.

والطفل قبل أن يقلد والديه، فإنه يقلد إخوانه، ومن هو في تربه، أو الذين يكبرونه قليلاً.

وهناك الكثير من الأمثلة التي تحضرك في هذا المجال.. أليس كذلك؟ ألم يحدث لك وشاهدت ـ في طريقك ـ جوقة من الأطفال.. هل رأيت كيف يلعبون، ويركضون؟

لو كنت قد دققت النظر لرأيت أن أفعالهم تأتي طبق الأصل لأفعال كبير الجوقة..

وإذا لم تكن قد لحظت ذلك ـ جيداً ـ فلا بأس بأن تمعن النظر في المرات القادمة، فيما لو وجدت مجموعة من «الإخوان» الصغار، حينئذ أنظر كيف يتبع الطفل الصغير أخاه الأكبر، وكيف يحاول أن يأتي بنفس أفعال أخيه في طريقة المشي والركض والكلام، ويتبعه في كل شيء، كما يتبع الفصيل أثر أمه.

هذا بالإضافة إلى أن الكبير - من الأبناء - يمارس دوره القيادي على من هو أصغر منه، من إخوانه وأخواته، فهو يقودهم - بجرأة القائد الواثق - إلى كل عمل، وفعل يحبه هو ويذهب بهم إلى كل مكان، هو يرغب فيه.

والعملية قد لا تقتصر على مرحلة الصغر، وإنما تستمر - في أحيان كثيرة - إلى مرحلة الكبر، حيث، تكون للإبن الأكبر حصة وافرة في صناعة القرار العائلي، كما ويكون له الأثر على منحى الحياة فيها.

من هنا فلو كان الوليد الأول حسن الطباع، ومؤدب الأخلاق، وصالح الأعمال، فإنه لا شك سيترك أثراً حسناً على إخوانه وأخواته، يستضيئون به، ويقتدون بجمال صفاته.

بينما لو كان الإبن الأكبر إنساناً بذيئاً في الأخلاق، يعمل السيئات، ويرتكب المحرمات، ويتجرأ على الآخرين، ويعتدي على الحقوق، ويقترف المساوئ والفجور - عندئذ - فلا نستطيع أن نأمن على إخوانه من شره المستطير.

أو ليس هو يكون - عندئذ - بين إخوانه كالتفاحة الفاسدة في صندوق الفاكهة، التي سرعان ما تفسد جميع التفاح؟

بناء على ذلك فالأب الذي يريد أن يوفر على نفسه الجهد والوقت الكثير، ويتخلص من التبعات السيئة في تربية أبنائه، ما عليه إلا أن يتعب على تربية وليده الأول، ويصنع منه المثل الذي يحتذى به، ليس لأبنائه التالين فقط، وإنما يستطيع أن يقدمه - أيضاً - لكل الأبناء، ومن ثم لكل الأمة.

وعلى أي حال فإن هذا لا يعني أن نترك تربية الأبناء الآخرين على الغارب، ولا نعير لهم أي إهتمام.

الفصل الثالث

تجارب الآباء خير رؤية للأبناء

يمتلك الآباء ـ خلال سني الحياة الطويلة ـ تجارب كثيرة في مختلف شؤون الحياة، سواء تجارب الفشل أو تجارب النجاح.

ولكل أب رصيد كبير من التجارب الهامة حتى ولو كانت عادية وبسيطة، فالتجربة لها ثمن قيم، حتى ولو كانت مثل تجربة الكسب والتجارة، أو مثل تجربة الدراسة والمدرسة، وأيام الصغر.

أوليست هي تجربة الحياة.. وقد خاضها الأب بكل فصولها حتى نشأ وترعرع، وأصبح رجلاً يعتمد على نفسه، ثم تزوج وأصبح أباً لمجموعة من الأبناء.

أو تلك الأم التي أصبحت قديرة في إدارة الشؤون المنزلية، وناجحة في تربية الأطفال، وسعيدة في حياتها الزوجية.

إن هذه الأم، وذلك الأب وأمثالهما مليئان بعشرات التجارب، وبإستطاعتهما أن يقدما لأبنائهما العبر والدروس النافعة، وبغزارة.

إذن فلا تستهينوا بتجاربكم، ولا يقولن أحد ماذا أمتلك من التجارب غير التجارب الفاشلة!

إن التجارب الفاشلة، هي التي يستفاد منها في عدم الوقوع في الفشل، وارتكاب الأخطاء مرة أخرى.

وكما يقال: فإن كل إنسان ناجح، إنما يمتلك مخزوناً من تجارب الإخفاق.

ومثال على ذلك تجربة صناعة الطائرة، فلولا تجربة المخترع الأول «عباس بن فرناس» الذي حاول الطيران فسقط، وعشرات التجارب الأخرى، لما كانت اليوم طائرات الكونكورد وغيرها من الطائرات المتقدمة.

إذن.. لا للاستهانة بالتجارب، كما لا للخجل، الذي قد يكون مانعاً من تقديمها إلى الأبناء.

وإذا كان على الآباء أو الأمهات أن يقدموا تجاربهم للأبناء، فإن عليهم أن يلتفتوا إلى نقطة هامة في هذا الباب وهي:

«تقديم التجربة بعيداً عن روح اليأس».

ونأتي هنا بمثال على ذلك: يقول أحد الشبان وهو من العاملين على الساحة السياسية: «كان والدي ـ والذي يبلغ الثمانين من عمره الآن ـ قد دخل الحياة السياسية في أيام شبابه، وخاض صراع التحرير ضد السلطة الحاكمة، ولكن لم يحالفهم الحظ في تحقيق النصر بالرغم من مضي سنين عديدة، وتجارب مضنية كثيرة.

ويضيف هذا الرجل قائلاً:

إن والدي كان قد وصل إلى حد اليأس من جدوانية العمل التغييري والثورة ضد السلطة الطاغية.

وكان يقدم إليّ تجاربه بروح يائسة ولكنني ـ وبحمد الله ـ إزددت عزماً وإصراراً على المضي قدماً في سبيل الثورة والتغيير، ولم أكن أسمح لنفسي بالتأثير السلبي، بل وآمنت أن النجاح لا يأتي إلا عن طريق العشرات من تجارب الإخفاق».

إذن على الآباء أن يقدموا تجاربهم.. ولكن على طبق من الأمل، وبروح إيجابية.

الفصل الرابع

ماذا تفعل لو كنت أحد هؤلاء الآباء؟

ماذا تفعل تجاه أبناءك لو كنت أحد الأشخاص التالين الثلاثة:

لو كنت: فقيراً ؟

لو كنت: غنياً ؟

ولو كنت: شخصاً مرموقاً أو عظيماً ؟

أولاً: ماذا تفعل لو كنت فقيراً؟ أي لو كان دخلك محدوداً أو كنت تعيش في ضائقة مالية فماذا تفعل وكيف يجب أن تتصرف مع أبنائك؟

حينما يخرج إبنك إلى المدرسة، وهو لا يرتدي غير الأقمصة والملابس العتيقة البالية، ويصادف زملاءه في الدراسة، وقد لبسوا أفضل الأقمصة والثياب الجديدة الأنيقة، إن هذا الموقف ـ لا شك ـ سيترك أثراً في نفس الطفل، ويجعله يشعر بنقص أو دناءة عن الأطفال الآخرين.

وكذا لو كان المسكن متواضعاً ولا تعتبر له قيمة بين القصور والبيوت العاليات ـ وبالخصوص ـ لو كان البيت خرباً أو فيه عيوب يذهب بماء الوجه.

فالطفل ـ مثل الكبير ـ يدخله الخجل والحياء من رؤية منظر بيتهم المتداعي أمام الأصدقاء والأتراب.

وهكذا الأمر ـ أيضاً ـ بالنسبة للطعام، والشراب، فأطفال الجيران، أو

تلاميذ المدرسة يتساءلون فيما بينهم عن وجبات الغذاء أو العشاء في اليوم الفائت، ما هي، وماذا كانت؟ ويتفاخر بعضهم بأن وجبة غذائهم كانت دسمة وشهية.

أمام هذه المواقف يظل طفلك يشعر بالحرج والنقص.. ويفكر ترى أليس الآخرين أفضل منه؟!

وتزداد المسألة سوءاً فيما لو كان الأب يعير إهتماماً للأغنياء، ويعتبرهم أصحاب القيمة العليا، ويشعر تجاههم بحقارة وتذلل.

والخطورة في الأمر، أن يخلق هذا الوضع «عقدة الحقارة» في نفسية الأبناء، ويجعلهم يشعرون بنقص في شخصيتهم أمام الآخرين، وبالتالي يؤدي بهم الأمر إلى التراجع وعدم الإقدام في الصراع مع مشاكل الحياة التي تتناولهم في كل الأوقات.

وللتخلص من هذه النتائج السيئة، عند الأطفال المحرومين، يرى خبراء التربية ضرورة إتّباع الوصية التالية:

«لا تجعل قيمة للمال، في نفسك وفي ولدك، وحاول ـ دائماً ـ أن تعلم أبناءك بأن قيمة الإنسان في عقله وعمله، وخلقه، وليست في ماله».

ولذلك فإن **«أكرم الحسب حسن الخلق»** كما قال الإمام علي عليه السلام.

فالأخلاق الحسنة هي التي يجب أن تكون مقياساً للتفاضل والرفعة؛ لقد جاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام أيضاً: **«كم من وضيع رفعه حسن خلقه»**.

وعلى هذا الأساس يجب أن نعلم أبناءنا بأن المال لربما يكون مصدراً لشقاء الإنسان وعذابه إذا ما بخل الإنسان به واستغنى، ومنع رفده عن الناس.

وفي هذا الصدد نجد أن الإسلام قد إعتبر أن العمل الشائن والمقيت أن يجعل الإنسان للمال قيمة، وللغني وزناً لا لصفة غير الغنى وقد قال الإمام الرضا عليه السلام: **«من لقي فقيراً مسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله (عز وجل) يوم القيامة وهو عليه غضبان»**[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام: **«لا تضعوا من رفعته التقوى، ولا ترفعوا من رفعته الدنيا»**[2].

لماذا.. ذلك لأن القيمة الحقيقية يجب أن تكون للإنسان، لا لماله، لأن ماله زائل، بينما هو يبقى كإنسان.

هذا بالإضافة إلى أننا إذا ما أصبحنا نعير إهتماماً لصفات العلم والأخلاق أكثر من أي شيء آخر، فإنّ هذا يعني التقدم بعينه.

بينما الأمة التي تعبد المال، وتجعل القيمة العليا للدينار والدرهم.. نجد أن هذه الأمة تسحق الإنسان بسهولة، لأنها سبق وأن سحقت القيم الإنسانية فيه.

بهذه النظرة المعتدلة للمال يستطيع الأبوان أن يجعلا المناعة في أبنائهما ضد عقدة الحقارة والنقص أمام الأغنياء والمترفين.

وبهذه الطريقة إستطاع المسلمون الحفاة أن ينتصروا على حضارة الفرس والروم وكل الأسياد الوهميين الذين كانوا يحكمون الناس لا لصفة حسنة كانت عندهم أو لعلم غزير كان لديهم، وإنما للقوة والمال الذي كان وراء ظهورهم.

* * *

---

(١) بحار الأنوار ج٦٩/ ص٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج٦٩/ ص٤١.

ثانياً: لو كنت غنياً.

قبل أن نتطرق إلى ما يجب أن تتصرف به حيال أبنائك، نود القول بأن الغنى والنعمة الوافرة، والحياة المرفهة السعيدة، ليست من الأمور المقيتة في الإسلام، بل هي من الأمور الحسنة والمطلوبة، فالقرآن يقول:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

ونحن نقرأ في الدعاء المروي عن الإمام السجاد عليه السلام ونقول: «**اللهم ارزقني من فضلك الواسع، الحلال الطيب رزقاً واسعاً، حلالاً طيباً، بلاغاً للدنيا والآخرة، صبا صبا هنيئاً مريئاً من غير كد ولا منٍّ من أحد من خلقك إلا سعة من فضلك الواسع**».

كما وهناك أحاديث كثيرة تذم الفقر مثل الحديث الذي يقول:

«**الفقر الموت الأكبر**».

بناء على ذلك، فليس المطلوب أن لا تملك المال، وإنما المطلوب أن لا يملكك المال.

ومن هذا المنطلق عليك ـ أيضاً ـ أن لا تعير أهمية للقيم المادية، واعلم أنّ الإمام علي عليه السلام يقول:

«**ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك**».

إذن.. فالقيمة التي يجب أن نعتز بها ليست قيمة المال، وإنما هي قيمة العلم والأخلاق. وهذا هو ـ بالضبط ـ ما يجب أن تقوله لأبنائك حتى لا ينامون على حرير المال، ويظنون أنهم فوق البشر، وأفضل من الناس جميعاً، وهم ـ في

---

(١) الأعراف: ٣٢.

حقيقة الأمر ـ لا يملكون من الكفاءات العلمية، والمواصفات الإنسانية والتي بدونها يفقد الإنسان إنسانيته، ويصبح عبداً للمال والمتجر، ولا يهمه سوى نفسه.

فخير هدية تقدمها لابنك ـ إذا كنت غنياً ـ أن تجعله لا يؤمن بالمادة كأساس للرقي والتقدم، وتدفعه لأن يبحث عن الصفات الأصيلة والأخلاق الحميدة، والعمل الصالح.

كما ولا تنسى أن تنمي فيه الكرم والعطاء وخدمة الناس، وفعل الخير، ومساعدة الفقراء والمحرومين، واحترامهم.

وذكّرهم ـ دائماً ـ بأن لا يحقّروا فقراء المسلمين، ولا يروا لأنفسهم فضلاً أو علواً عليهم.

فإن الرسول الأعظم ﷺ يقول:

«من إستذلّ مؤمناً أو مؤمنة، أو حقّره لفقره أو لقلة ذات يده شهره الله (تعالى) يوم القيامة ثم يفضحه»(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: **«من حقر مؤمناً مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه»**(٢).

* * *

ثالثاً: لو كنت شخصية مرموقة.. أو كنت عظيماً من العظماء.. أو عالماً من العلماء!

هنالك مقولة مشهورة تقول: **«إبن العظيم لا يصبح عظيماً!»**.

لماذا؟

---

(١) بحار الأنوار (٤٤).

(٢) بحار الأنوار ج٦٩/ ص٤٤.

الجواب: ليس لأن هنالك أشكال أو خلل في تكوين أبناء العظماء، وليس هناك قصور في عقولهم ـ مثلاً ـ حتى لا يكونوا مثل آبائهم.

وإنما هنالك شيء واحد، هو الذي يعيقهم ـ غالباً ـ من إرتقاء سلم العظمة والنبوغ، وهو: «العيش على أمجاد آبائهم، ووراثة سمعتهم، وشرف عظمتهم بين الناس».

وهذا ما نجده بالفعل، فإن كثيراً من الناس إنما ينطلقون في درب العلم وإرتقاء سلالم العظمة، إنما تكون ـ من جملة ـ دوافعهم القوية، هو حب أن يكونوا شيئاً مذكوراً في الحياة أو لفت أنظار الناس حولهم حتى يشار إليهم بالبنان.

بيد أن هذا الدافع قد لا يكون لدى أبناء العظماء.. أو ليس الناس يلتفون حولهم، ويتمنون الجلوس إليهم، والتحدث معهم.. فلماذا إذن التعب، والنصب أو ليس يكفيهم ما ورثوه من آبائهم من الشرف والعظمة؟!

هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أن من العوامل الأخرى التي لا تحالف أبناء العظماء من بلوغ درجة آبائهم، هو عامل إنشغال الآباء بأنفسهم والآخرين، دون أن تكون لهم فرصاً كافية للاهتمام بأبنائهم بشكل مطلوب.

وعلى أي حال، لا ينبغي إهمال هذه الملاحظة، لما لها من نتائج لا تحمد عقباها، ولربما قد تسيء إلى شخصية الأبناء، وتترك أثراً سلبياً قد يكون ـ على أقل الإحتمالات ـ باعثاً للشعور بالعظمة الجوفاء!

ولكي تنقذ إبنك وتنجيه من كل النتائج والإحتمالات الخطرة، التي يمكنها أن تحدث، يرى العلماء أن تتبع الوصايا التالية في هذا الصدد:

١ ـ إخلق له دوافع أخروية.. أي إجعل الدافع الوحيد فيه هو دافع العمل لليوم الآخر، يوم يقوم الناس ليوم الحساب، وليس دافع السمعة والسلطة، والعلو في الدنيا.

وتستطيع أن تحقق هذا العمل عبر تغيير المنطلق في إبنك منذ الصغر، فعلى سبيل المثال: لو كان إبنك يريد أن يصبح عالماً أو طبيباً فليكن المنطلق ليس من أجل الحصول على المادة أو السمعة والشهرة، وإنما ليكن منطلقه تحقيق رضا الله (عز وجل) عبر خدمة الناس والبلاد.

وهكذا في كل شيء.. ليكن سعيه وعمله من أجل الحصول على الأجر الأخروي والفوز بالجنة.

ولتأكيد هذا المنطلق في الطفل، نرى من الضروري له التحدث عن الجنة وما أعدّ الله (تعالى) للمؤمنين من خير ونعيم.

٢ ـ دعه يعتمد على تكوين شخصيته بعيداً عنك.

وذكّره دائماً، بالحكمة التالية: «ليس الفتى من قال كان أبي.. وإنما الفتى من قال ها أنا ذا»!

ومن هنا نجد أن الرسول الأعظم ﷺ كان يقول لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام:

«بنية!

«لا يخدعك الناس، يقولون إبنة محمد.. فإني لا أجزيك من الله شيئاً».

وهكذا يجب أن تقول ـ أنت ـ لأبنائك، حتى لا ينخدعوا بما ليس فيهم أو لديهم، ولا بد أن نعرفهم حقيقتهم، من أجل أن لا يناموا على أحلامهم الكاذبة، وينطلقوا في الحياة بجد واجتهاد.

وليكن الحديث التالي نصب أعينهم، حيث يقول الله (عزّ وجل) في الحديث القدسي:

(خلقت الجنة لمن أطاعني، ولو كان عبداً حبشياً، وخلقت النار لمن عصاني، ولو كان سيداً قرشيا).

وحذّرهم أن يكونوا مثل تلك الإمرأة الصلعاء التي حينما سئلت عن شعرها أين هو؟ أشارت إلى شعر زوجة أخيها وامتدحته كثيراً.

٣ ـ إمنع الناس من التعامل الخاطئ معهم.

يحدث، أحياناً كثيرة أن الناس، ولأنهم يعظموك، ويودوك، فإنهم يحبون كل شيء يمت إليك بصلة، وأبناؤك أول من تنزل عليهم بركاتك، ويأتون في الدرجة الثانية بعدك في التقديس والتعظيم والإكرام، والمحبة، ليس لأنهم عظماء وإنما لأنهم ينتمون إليك وإلى شخصك الكريم فقط.

ولا نرى بأساً في ذلك ضمن حدود المعقول .. فالحديث الشريف يقول: «**جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً**».

ولكن .. إذا ما كانت النتائج معكوسة، ووجدنا أن آثارها على الأبناء ستكون بشكل سلبي.. عندئذ يجب التدخل وتنبيه الناس بطريقة فنية إلى تغيير تصرفهم حيال الأبناء، والمسألة مهمة حتى إذا ما اضطرّ الأب بأن يصرح بعدم رضاه للطريقة الخاطئة التي تتم فيه معاملة أطفاله، مثل تدليلهم، وتقبيلهم ـ بصورة كثيرة ـ وإجلاسهم في الأحضان ـ بالرغم من تجاوزهم مرحلة الطفولة ـ والتغاضي عن أخطائهم، والضحك في وجههم عند إقترافهم بعض الأخطاء المتعمدة، والسكوت على كل شيء يفعلونه لا نرتضيه ـ نحن ـ من أطفال الآخرين، بل وحتى من أطفالنا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى.. على الأب العزيز ـ في مثل هذه الحالات ـ أن يرشد أبناءه إلى الإعلان عن رفضهم وعدم إرتياحهم لكل من يتصرف معهم خارج الحدود المتعارف عليها.

كما وعليه ـ أيضاً ـ أن يقول لهم أن ما يواجهونه من الإحترام والتقدير البالغ، ليس لأنهم على شيء، وإنما هو خلق كريم وتفضل من الناس أعتادوا عليه.

الفصل الخامس

الديكور .. نعمة أم نقمة ؟

الأطفال ـ والبنون منهم على الخصوص ـ لا يملون من الحركة الدائبة، واللعب المستمر، وإنك لتكاد تسمع طنينهم، وضجيجهم المتعالي إلى عنان السماء، حتى إذا خيم الليل إستسلموا لسبات عميق، وكأنهم عمال قضوا يومهم جاهدين في هدم الجدر والبيوت، أو فلاحين عادوا وقد أضناهم الحرث، وفت في عضدهم المشي.

فاللهو واللعب يعتبر عند الأطفال قضية أساسية في حياتهم، ولهذا فهم يتفننون، ويحولون كل شيء إلى مادة للعبهم، ولو إقتضى ذلك أن يقلبوا الدار إلى مدينة للألعاب، ويصنعوا من لوازم البيت وأثاثه بيوتات صغيرة لهم.

وهكذا يجد الطفل لذته وفرحته في اللعب بالأخشاب، والكراسي، والطاولات، كما يستأنس ـ أيضاً ـ بالفراش والسجاد، والسرر، والمساند، ولعلك تجده وقد جمع الأفرشة، وصعد على المنضدة أو على أي شيء رفيع، وبدأ يقفز، ثم يصعد، ثم يقفز، ويعود الكرة وهو في نشوة الفرح الكبير.

وهنا ينتصب سؤال يقول: هل المطلوب أن نترك العنان لأطفالنا.. ليفعلوا ما يشاؤون، ويقلبوا الدار على رؤوسهم؟

الجواب: لا.. ليس من الصحيح أن نعطي الأطفال جوازاً مفتوحاً، ونسكت

على كل أفعالهم وخربطتهم في الدار. فالإفراط في فسح الحرية للطفل، كالإفراط في إعطاء الماء للزرع، فهو يفسد أكثر مما يصلح ولكن قليلاً من الحرية، كقليل من الماء للزرع، أمر ضروري لنمو قدرات الأطفال، وإسعادهم.

ولا يغيب عن بالنا أن البيت والأثاث، والديكور إنما هو لإسعاد الأبناء لا لشقائهم.

ولهذا.. فلا يجوز أن نطرد الأطفال إلى خارج البيت، لكي لا يتسببوا في تعكير الأجواء، ولا يلمسوا الأثاث ولا يمشوا على السجاد، ولا ينطقوا بكلام.

أو ليس البيت والديكور للترفيه عن الأهل والعيال والأبناء.. أم وضع لكي يكون متحفاً أنيقاً للمتفرجين، والسائحين؟

إن علينا أن نحافظ على أناقة بيوتنا، وجمالها الرائع، ولكن دون أن يكون هذا هو مبلغنا الأول والأخير.

فالديكور يجب أن يكون في خدمة الأطفال، وليس العكس، ولندع أطفالنا يتنعمون، ولو كانت سعادتهم على حساب إتلاف الشيء البسيط من ممتلكات المنزل، أو إراقة قليل من الماء فوق السجاد الثمين، أو تمزيقهم للأوراق فوق السرر، والمراقد.

دعنا نتساءل: أيهما يجلب السعادة ـ أكثر ـ لأبنائنا .. هل طردهم من الصباح حتى المساء خارج البيت حفاظاً على الديكور؟ أم السماح لهم بالمكوث واللعب في لدار من أجل رفاهيتهم وعيشهم بهناء؟

إن الديكور يمكننا أن نبدله كل عام، والأثاث يمكننا ـ أيضاً ـ أن نستعيض عنه بآخر، ولكن هل يمكننا أن نحقق سعادة أطفالنا بطردهم، إلى خارج فناء الدار، حيث لا مأوى لهم غير الشوارع والأزقة وبيوت الجيران؟

إنّ الأمهات اللواتي يطردن أطفالهن من الدار، ويصبحن شرطيات في البيت فيأمرن وينهين بأوامر وقوانين صارمة، ولا يسمحن لأطفالهن بأي حركة أو فعل أي شيء خشية من أن ينزعج الديكور، وخوفاً من تساقط بعض حبيبات التراب على بلاط المنزل .. إن هؤلاء الأمهات إنما يحولن الديكور إلى شقاء، ونقمة، بدل أن يكون سعادة ونعمة لهن ولأبنائهن.

علينا أن نهتم بسعادة أبنائنا، كما أن علينا أن نؤدبهم، ونعلمهم، ليهتموا بالمحافظة على النظام والديكور، والممتلكات المنزلية الأخرى.

فليلعب الأطفال في الدار، وليستفيدوا منه، ولكن علينا أن نرسم لهم الحدود التي يجب أن لا يتجاوزوها في لعبهم.

الفصل السادس

لكي لا يفسد ما صنعت؟

الأطفال أشبه ما يكونوا بنباتات صغيرة، وشتائل وليدة، فالشتلة في أيامها الأولى تموت بمجرد أن يداعبها طفل حالم بيديه الرخوتين، ويتحطم جسّمها بقدوم أول طليعة للرياح العاصفات.

والنبة التي لم يقوى عودها بعد، لا تستطيع الصمود والمقاومة في وجه المؤثرات الجوية والعوامل الطبيعية الأخرى.

فلا يكفي ـ للمحافظة على النباتات ـ أن تقوم بسقيها وتغذيتها بالسمادات بشكل جيد، دون أن تمنع المراعي من الوصول إليها وإتلافها.

كذلك الأمر بالنسبة إلى أطفالك، فلا يكفي أن تؤدبهم بأدبك، وتسقيهم من مناهل أفكارك، ما لم تحول بينهم وبين العوامل المؤثرة التي تهجم عليهم من كل حدب وصوب.

فالطفل بمجرد أن يخرج إلى المدرسة، وينزل إلى المجتمع، ويجلس أمام شاشات التلفزيون ويتعرف على قراءة الكتب، ويطلع على الصحف والمجلات، ويصغي للمذياع، ويتحدث مع هذا وذاك، ويجلس هنا وهناك.. فإنه إنما يكون قد دل في بحر لجي عميق الأغوار، فيه موج كالجبال.

ومهمة الأب ـ هنا ـ ليست الوقوف أمام الأبناء وصدهم عن الدخول في هذا البحر المواج، إذ لا يمكن أبداً، وإنما مهمته تتطلب أن يتقن لهم صناعة السفينة بشكل يطمئن به عليهم من عدم الهلاك.

وذلك يتحقق بالأمور التالية:

أولاً: القفز إلى قلب الطفل قبل أن يحتله العدو.

تعد المبادرة إلى تربية الأطفال ـ منذ وقت مبكر ـ من أحسن العوامل المساعدة للتربية الحميدة، ذلك لأن الطفل في سنينه الأولى يشبه الورقة البيضاء التي لم تسوّد بحبر الأقلام بعد، أو إنه يشبه الأرض الخالية القابلة لزرع كل شيء فيها، مثلما يقول الإمام علي عليه السلام:

«قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته».

ولكي لا يسبقنا ـ أي أحد ـ إلى زرع أعشابه الضارة على أرض أطفالنا، لا بد أن نبادر نحن إلى زرع أشجارنا المثمرة، ونملأ كل الفراغ.

وفي هذا الصدد نجد الإمام علي عليه السلام يقول:

«بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة».

وبناء على ذلك فالمبادرة إلى تربية الأطفال إنما تعني منذ نعومة أظافرهم وقبل بلوغهم السنوات الخمس، وإلا لما سميت بمبادرة.

يقال: سألت ذات مرة، إحدى السيدات، مربياً مشهوراً: «ما هو الوقت المبكر الذي أستطيع أن أبدأ فيه بتعليم طفلي؟

فسألها المربي بدوره قائلاً: «متى سيولد هذا الطفل؟

فأجابت السيدة وهي تلهث: «يولد! إنه الآن في الخامسة من عمره.

فصاح المربي: «ماذا تقولين أيتها السيدة؟ لا تقفي هنا تتحدثين.. أسرعي إلى البيت، لقد ضاعت منك أحسن سنواته الخمس».

* * *

ثانياً: إختر البيت كما تختار الفاكهة.

إن اختيار المكان الصالح للبيت الذي تريد أن تقطنه وأطفالك، لا بد أن يكون إختياراً محسوباً وليس إختياراً عشوائياً، وذلك تلافياً للنتائج غير

المحمودة التي تترك أثرها على أبنائك من قبل أبناء الجيران من جهة، وأجواء البيئة الإجتماعية من جهة أخرى.

إن عليك أن تركز إلى التفكير والتدبر قليلاً قبل شرائك أو استئجارك لأي بيت، أن تفكر في محيط البيئة الإجتماعية لتلك المنطقة، ثم انظر إلى الأطفال الذين يلعبون في الأزقة أو الشوارع القريبة من البيت. وتصور أن إبنك سوف يصبح صديقاً لهؤلاء الأطفال، وأنه ـ لا شك ـ سينضم إلى هذه الشلة أو إلى تلك المجموعة من الأورد.

فانظر.. هل ترضيك أخلاق الناس هناك؟ وهل تعجبك آداب الأطفال وسلوكياتهم؟ فإذا كان مما يرضيك فاستوطن، وإلا فلا ترمي بأطفالك في مستنقع الفساد، وتذكر ـ دائماً ـ أن على الأب أن يشتري الفاكهة الطيبة والصالحة لأبنائه، وليست كل فاكهة ـ ولو كانت فاسدة ـ هي المطلوبة.

وليكن في خلدك ـ أيضاً ـ أن شراء الجار قبل شراء الدار، فإن الإمام علي عليه السلام يقول: **«سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار»**.

* * *

ثالثاً: إفعل مثلما تفعل النحلة.

هل حدث لك ـ مرة ـ وشاهدت مفتشة النحل، كيف تقف أمام بيوت النحل، وتفتش كل نحلة تريد الدخول إلى مجمع النحل، هل رأيت أنها كيف تطرد كل نحلة لم تستقي من رحيق الورد، واستعاضت عنه بشيء آخر.

سواء كنت قد شاهدت ذلك أو سمعت به، فالمقصود أن تلعب نفس دور مفتشة أو ملكة النحل بالنسبة إلى أطفالك، حينما يكونوا قد خرجوا إلى ساحة المجتمع، وخاضوا غماره، والتقوا بروافده المختلفة.

آنئذ لا بد لك أن تفتش عن الآثار الفكرية العالقة بأذهانهم، وتطرد الفاسد

وتستطيع أن تكشف كل شيء ـ ببساطة ـ من خلال مفتاح السؤال والحديث معهم، ومراقبة سلوكياتهم بشكل عادي لا يلفت نظرهم أو يسبب في إحراجهم.

وبهذه الطريقة يستطيع الأب أن يبعد الآثار السيئة عن أولاده وبناته، ويخلق المناعة الدائمة لديهم.

* * *

رابعاً: إرسم لهم معالم الصراط المستقيم.

إذا كان الأب قد رسم لأبنائه طريق الحياة الذي يجب أن يسلكوه، وبيّن لهم حدوده ومتطلبات المسير، وكشف لهم عن موارد الإنحراف والضلالة في كل شيء.. آنئذ ليطمئن هذا الأب من ثباتهم، وصمودهم أمام عوامل التأثير الفاسدة في المجتمع.

ولكن.. لينتظر الخسران كل من نسي أن يرسم الصراط المستقيم لأبنائه، ولم يبين لهم طريق النجاة من الهلكة في الدنيا والآخرة.

والصراط المستقيم ـ كما في القرآن الكريم ـ هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصالحين، وهو غير طريق المغضوب عليهم ولا الضالين.

وبكلمة: فالصراط المستقيم الذي يجب أن تبينه لأبنائك، وتدفعهم للسير عليه، إنما هو طريق الإيمان والمؤمنين.

* * *

خامساً: إطّلع على قراءاتهم، ومشاهداتهم اليومية، وبيّن لهم كيف يجتنبون السيء منها، وينتفعون بنتائجها الحسنة.

فالتلفزيون والمذياع، والصحف، وكافة وسائل الإعلام ـ المقروءة منها والمسموعة ـ تعد اليوم من أكبر مصادر التأثير على الناس، وبالخصوص على الأحداث منهم.

فالطفل حينما يجلس وراء شاشة التلفاز ويشاهد الأفلام المتحركة، إنما نجده وقد فتح أذنيه بالإضافة إلى عينيه، وغاص في المشاهدة بكل حواسه.

والخطورة التي تكمن هنا أن الحدث يحاول أن يطبق كل ما شاهده على نفسه، ويقتدي برجال الفيلم وحركاتهم وأقوالهم، وسلوكياتهم.

والمشكلة أننا قلّما نجد أفلاماً صالحة، تعرض على شاشات التلفزيون، سواء للكبار أو للأطفال اليافعين.

بالإضافة إلى بعض الجوانب السلبية الأخرى الناتجة من ولع الأطفال بجهاز التلفزيون، وأهمها مسألة ضياع الوقت الكثير من أفضل أوقات حياة الإنسان، ألا وهي سنوات الطفولة.

إنّ الآباء يستطيعون ـ بتوجيه أبنائهم إلى هذه الملاحظة ـ أن يبلغوا بأبنائهم أفضل مدارج العلم والمعرفة، ويوفروا عليهم فرصاً كثيرة تدر عليهم بالراحة والسعادة عند الكبر.

وكما بالنسبة إلى أجهزة المشاهدة، كذلك يجب أن تكون المسائل المقروءة.

فالطفل الذي يقرأ الكتب المختارة والنافعة، ويلقى تشجيعاً على قراءتها.. إن هذا الطفل سيجني نتائج حسنة كثيرة، لم يحصل عليها أي طفل آخر لم يتم توجيهه من قبل والديه.

وبذلك يكون الأب قد أنقذ أبناءه من عوامل التأثير السيء في المجتمع، بأحسن صورة وأفضل أسلوب.

إذن.. لا بد أن تعرف ماذا يقرأ إبنك وماذا يشاهد؟، فلربّ كتاب منحرف قاده إلى الضلال والجحيم.

الفصل السابع

كيف تدفع أبناءك إلى النجاح؟

إذا كنت تريد أن يكون إبنك ذلك الإنسان، الذي يشق دربه في الحياة بكل ثقة، وعزم، فيتغلب على الصعاب، ويقهر الظروف، ويتجاوز المشاكل، وينطلق بقوة، ويحقق أهدافه بفوز، ويكون شخصية ناجحة في المستقبل.. نجد من الضروري الإلتفات إلى الوصايا التالية ـ كما بيّنتها بحوث العلماء وأكّدتها تجارب الآباء أيضاً ـ:

١ ـ دعه يعتمد على نفسه!

إعلم أنه لا يمكن للطفل أن يعتمد على نفسه، ما لم تجعله يثق بنفسه، وقدراته أولاً.. ولا يكون ذلك إلا بالممارسة والتجربة، وفي مختلف القضايا والمسائل، سواء الصغيرة منها أو الكبيرة.

إنّ الطفل الذي يتعود على ترتيب غرفة نومه، والمحافظة على وسائل لعبه والذهاب إلى المدرسة لوحده، والإعتماد على نفسه لحل بعض المشاكل، ومواجهة الأمور، وتذليل الصعاب التي تعترضه.. إنّ مثل هذا الطفل هو الذي يستطيع أن يكون قوي الشخصية وناجحاً في الأمور كلها.

ولسنا بحاجة ـ لتحقيق ذلك ـ أن ندخل أطفالنا في معاهد خاصة لتقوية الثقة بالنفس والإعتماد عليها، إذ يكفي أن ندع أطفالنا يواجهون الواقع، دون ان يركنوا إلينا.

والمثال التالي علّه يبيّن هذا بوضوح، حيث يقول أحد الكتّاب أنه زار عائلة متدينة، وأثناء زيارته خرج طفل العائلة ليلعب مع زملائه، فعاد باكياً شاكياً، بأن لعبته نهبت منه، فما كان من أمه إلا أن نصحته بالذهاب سريعاً لإنقاذ لعبته، وشجّعته على أن يذهب شخصياً ويعالج المشكلة بأي طريق، ويأتي باللعبة.

وفعلاً ذهب الولد، وبعد فترة عاد ضاحكاً، واللعبة في يده.

ثم يضيف الكاتب أنه بعد أشهر زار عائلة أخرى، وتكرّر أمام عينه نفس المنظر فقد نهبت لعبة طفل العائلة الأخيرة من قبل زملائه، فعاد باكياً إلى أمه، فاحتضنته، وبدأت تسب وتشتم في الجيران وأبنائهم، وتهديء الولد ووعدته بأن أباه سيأتي ويتعارك مع الجيران لإستنقاذ اللعبة!».

إنّ الفرق واضح بين أسلوبي التربية، فالأسلوب الأول يربي الطفل على الإعتماد على نفسه، وبذل ما يملك من جهد لتجاوز ما يعترضه من مشاكل.

بينما الأسلوب الثاني يربي الطفل على التواكل، والإعتماد على والديه، وبالتالي الانهزام السريع أمام المشكلة، والتباكي لدى الآخرين.

إنّ الآباء يجب أن يربوا أبناءهم على قوة الشخصية والإقدام، وأن يتعود أطفالهم على مقارعة المشاكل، ومواجهة التحديات، وأن ينتبه الآباء والأمهات إلى هذه الظاهرة في أبنائهم، فلا يقبلوا منهم استخدام هذا الأسلوب، بل يشجعون أبناءهم، لتفجير طاقاتهم وصقل شخصياتهم.

* * *

٢ ـ إسبغ التشجيع على أبنائك .. ولا تبخل.

لست أجد محفزاً للنجاح، مثل التشجيع للناس سواء منهم الكبار أو الصغار، والعلماء، أو الجهّال.. فالتشجيع مثل الزيت، للماكنة، والبنزين للطائرة، فلولا التشجيع لما حلّق الكثيرون إلى مدارج العلم والعظمة.

والحياة تزخر بالشواهد على ما أتى به التشجيع من نتائج عظيمة.

يقول أحد الخطباء المشهورين: «لا أتذكر أنني أخطأت في خطبة واحدة من خطاباتي، ولا أتذكر أنني تلكأت، أو تراجعت، أو نسيت ما أريد ذكره، ولا أتذكر أني تهيبت المنبر في أي يوم..

والسبب في ذلك كله ما تلقيته من تشجيع، وتقدير في المرة الأولى التي رقيت فيها المنبر.. وذلك قبل أربعين عاماً.

فقد حدث أن مجلساً إنعقد في بيتنا العائلي، ودعي للمحاضرة فيه أحد الخطباء المعروفين، إلا أنّه تأخر عن الموعد المحدد، وكنت أنا قد حفظت قصيدة شعرية، فرقيت المنبر وبدأت أقرأها، بيتاً بيتاً، وكان في المجلس أحد العلماء الكبار، فكنت كلما قرأت بيتاً رفع رأسه وقال: أحسنت .. ولم أكن أتوقع في ذلك الوقت مثل هذا التشجيع، فامتلأت ثقة بنفسي، وأنهيت القصيدة حتى تلقيت هذه الكلمة المشجعة لمرات عديدة.

والآن يمضي على ترك الحادثة أربعون عاماً، وقد ألقيت خلالها آلاف المحاضرات، وتلقيت عشرات الألوف من رسائل التشجيع، وكلمات المديح، ولكن كلمة «أحسنت» التي تلقيتها في المرة الأولى، لا زالت تقرع مسمعي وتعطيني الثقة، وتدفعني إلى المزيد من إلقاء المحاضرات».

كان هناك ثمة صبي يأمل أن يكون كاتباً، ولكن بدا له أن الأقدار قد تحالفت ضده.

«فهو لم يمض في المدرسة أكثر من أربع سنوات، وما لبث أن زجّ بأبيه في السجن لعجزه عن تسديد ديونه، وانتهى الصبي أخيراً إلى عمل بسيط كانت مهمته فيه أن يلصق أوراق مطبوعة على زجاجات للطلاء، وكان يؤدي هذا العمل في مخزن مهجور تسرح فيه الفئران وتمرح، وكان ينام الليل في غرفة على السطح مع صبيين آخرين، وكان قليل الثقة في مقدرته على الكتابة، وقد رفضت له القصة تلو القصة، وأخيراً حلّ اليوم، الذي ظن أنه لن يأتي،

يوم أن قبلت إحدى قصصه، وصحيح أنه لم ينقد عنها فلساً واحداً، ولكن الصحفي الذي قبل أن ينشر القصة في جريدته إمتدحه، وأشاد بموهبته، حتى أنّ الشاب جاشت عواطفه في ذلك اليوم، وقد غيّر التشجيع والتقدير مجرى حياته كلها، فأصبح من كبار المؤلفين فيما بعد».

إن تشجيع الناس والأبناء، ومدح ما فيهم من محاسن يعطيهم الأمل، ويشيع فيهم السعادة، فلماذا نبخل عليهم بذلك، في الوقت الذي لا يكلفنا هذا الأمر، غير تحريك اللسان لبضع ثوان؟

* * *

٣ ـ إصنع منهم أشخاصاً حديديين !

إنّ الأب الناجح هو الذي يربي أبناءه على الإرادة الحديدية الصلبة.

والإرادة القوية ـ هذه ـ لن تحقق إلا عبر تقوية النفس، وتعويدها على الخشونة والقوة، روحياً وجسدياً.

من هنا نجد أن الطفل الذي ينحدر من عوائل تعيش الزهد والتقشف في حياتها، يكون أصلب عوداً من أبناء المترفين، وأقدر على مواجهة الصعاب.

وهناك عدة طرائق تساعد الأب على بناء الإرادة في شخص إبنه وأهمها:

الطريقة الأولى: عدم الإستجابة الفورية لكل طلباته، بالإضافة إلى عدم إعطائه كل شيء.. إذ لا بد من أن يتعود الطفل على التصبر، والنفس الطويل.

ولهذا نجد أن الطفل المدلل، الذي يتعود على تحقيق طلباته بمجرد أن ينطق بكلمة، أن هذا الطفل لا يستطيع التجلد، وبالتالي لا يظفر بالنجاح وتجده يستسلم أمام أي مشكلة مهما كانت بسيطة وحقيرة.

ولكي تعوّد أطفالك على النفس الطويل اتّبع الوصايا التالية: «إذا أردت أن تفعل شيئاً أو تشتري حاجة لابنك تريّث قليلاً ثم أقدم على ما تريد صنيعه».

* * *

الطريقة الثانية: عوّد أبناءك على صفات الصالحين، مثل الزهد والصبر والحلم والصوم والصلاة.

يقول رسول الله ﷺ: «**مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً**».

فالصلاة بالإضافة إلى أنها تعمق الإيمان في الوليد، تعلمه على الإلتزام المنضبط، وتصقل شخصيته، وتقوي عوده.

والصوم في شهر رمضان ـ أيضاً ـ تكون له نتائج عظيمة في بناء الإرادة الصلبة.

* * *

الطريقة الثالثة: علّم أولادك على المشاق.

كان هناك ـ في غابر الزمان ـ ثمة معلم يقوم بتدريس ثلة من الطلاب الصغار وكان هذا المعلم يجري دروسه يومياً خارج نطاق الغرف والجدران، فيخرج بالأطفال ـ كل صباح ـ إلى التلال والقفار، حيث الثلوج المتراكمة في فصل الشتاء، والهواء البارد الذي يثلج أصابع اليدين والرجلين، ويقضم بنسيمه القارس الآذان والأنوف.

وهكذا كان يمضي كل أيام الدراسة، دون مكترث بإستغاثة الأطفال وطلباتهم بالكف عن الخروج إلى زمهرير الثلوج الباردة.

وتواكبت الأيام والشهور، حتى شبّ هؤلاء الأطفال وكبروا، وأصبحوا رجالاً في المجتمع، وشاءت الأقدار حتى أصبح أحدهم رئيساً للبلاد، يحكم بما يشاء، ويأمر فيطاع.

وبعد وصوله إلى سدّة الحكم أمر فوراً بإلقاء القبض على معلمه أيام الصغر، وأودعه السجن إنتقاماً منه لما كان يفعل في إخراجهم إلى الأماكن الثلجية الباردة أثناء الدروس.

ومضت الأيام، والمعلم يعيش رهن الإعتقال، وتحت غضبة الرئيس الحاكم، حتى شاءت الأقدار، وهجم جيش من الأعداء على البلاد، فخرج الرئيس يقود كتائب المقاومة ويدير الصراع حتى استطاع أن يرد كيد الأعداء في معركة مصيرية خطرة وبالطبع كان الفضل كله - في الإنتصار - يرجع إلى شخصية القائد الصلدة القوية، التي كانت مثالاً رائعاً للمقاتلين الذين تجلدوا في مقاومة العدو برغم هطول الثلوج وقساوة الأجواء.

وحينما عاد الرئيس يقود كتائبه المنتصرة، توجه فوراً - بموكبه - إلى السجن وأطلق سراح معلمه بيده، وأكرمه إكراماً عظيماً، وأجلّه إجلالاً كبيراً، لأنه عرف - حينئذ - الفائدة العظيمة لما كان يفعل المعلم بهم في أيام الدراسة ولولا تعوّده على البرد، وتحمله للثلوج، لما كان بإستطاعته أن يكون المثل الأعلى لجنوده في الصبر والصمود والثبات والمقاومة، ولولا ذلك لم يكن النصر حليفهم في أكثر الإحتمالات.

* * *

٤ - إزرع الروح الإيجابية في أبنائك.

النجاح في الحياة يعتمد على التفاؤل بالخير، والتطلع إلى الأمور بروح إيجابية دائماً، كما أن الإخفاق مقرون باليأس والروح السلبية.

لذلك نجد أن الإسلام يحارب اليأس، ويعتبره من صفات الكفار، يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ﴾[1].

(١) سورة يوسف آية ٨٧.

ويقول الحديث الشريف: «**تفاءلوا بالخير تجدوه**».

إنّ التفاؤل بالظفر؛ والأمل بالإنتصار مسألة ضرورية لكل عمل، يريد الإنسان أن ينجزه.

ولولا ومضة الأمل لماتت طموحات الناس كما تموت البذور إذا إنقطع عنها ماء السواقي وغيث السماء.

ومن هنا فالمطلوب من الآباء والأمهات أن يخلقوا من أبنائهم أناساً إيجابيين، يقتحمون الحياة بنشاط مستمر، يحدوهم الأمل بالله، وبنصرته لعباده، في أحلك الظروف وأشد الأيام.

وتسأل كيف ؟

والجواب: الأمر بسيط جداً، ولا يحتاج سوى أن يتصرف الوالدان مع الأمور بروح إيجابية، وأن يحافظا ـ دوماً ـ على أن يكونا متفائلين في مواجهة الأمور والمشاكل، والصعاب، التي تعترض حياتهم اليومية.

وبكلمة: إنّ الآباء الإيجابيين هم الذين يخلقون الأبناء الإيجابيين، فإذا ما أردت أن يكون إبنك إيجابياً، عليك إلا أن تكون رجلاً إيجابياً.

* * *

٥ ـ أخلق الهمة العالية في نفوسهم.

ذات يوم سأل أحد العلماء الكبار إبنه قائلاً:

ـ يا بني ! ماذا تريد أن تصبح ؟

أجاب الإبن:

ـ مثلك يا أبتي.

فقال له والده:

ـ إنك لن تبلغ ذلك.

ثم أضاف قائلاً:

- لقد هممت أنا أن أكون مثل الإمام علي عليه السلام، فوصلت إلى ما وصلت إليه.. فكيف بمن يريد أن يكون مثلي.. لا شكّ أنه لا يصل إلى درجتي.

لذلك يقول الإمام علي عليه السلام:

«خير الهمم أعلاها»(١).

ويقول الإمام علي عليه السلام أيضاً:

«قدر الرجل على قدر همّته»(٢).

لكي تكشف جوهر الرجال وتعرف القيمة التي تفرزهم، وتجعلهم في درجات العظماء، أنظر إلى هممهم، وتطلّع إلى أهدافهم، وانظر هل يتحلون بالهمة العالية أم لا؟ فإذا ما كانوا يحملون الهمة العالية فهم الرجال العظام، وأما إذا لم يكونوا ذا همة سامية، فهم أناس لا وزن لهم ولا قيمة.

والهمّة العالية سواء للدنيا أو للآخرة.. فمن أراد أن يكون ملياردير أصبح مليونيراً، ومن أراد أن يكتفي بالخبز والتمر، وينام على حرير الإنجازات البسيطة، فلن يكون إلا من أصحاب الطبقة المحرومة في الدنيا.. وهكذا الحال بالنسبة للآخرة.. فمن أراد أن يكون بهمته جاراً للأنبياء والشهداء والصالحين في الجنة، فإنّه لا شكّ سيصل إلى مرامه أو دونها بقليل.

إنّ الأمة والفرد إذا لم يكونوا يحملون هموم بناء البلاد، وإقامة المشاريع، وتحقيق الحضارة، فلن يكون حالهم ومصيرهم بأفضل من الحيوانات، التي تعيش وكل همّها، إشباع غرائزها.

يقول الإمام علي عليه السلام: **«من كانت همّته بطنه، قيمته ما يخرج منه»**(٣)!

---

(١) غرر الحكم.

(٢) بحار الأنوار ج٧٠/ ص٤.

(٣) غرر الحكم.

إن من الناس من يهتم بحدود نفسه وبيته، ويكتفي من العلم بالألف باء، ومنهم من يحاول أن يستفيد من كل طاقاته، ويحمل هم إنقاذ أمته والأمم الأخرى، بل ويريد إنقاذ الأجيال القادمة ـ أيضاً ـ فيكتب لها، ويتحدث لها.

ومن هنا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم، وإنّ العالم أفضل من سبعين ألف عابد، ذلك لأنّ همّ العابد لا يتجاوز حدود نفسه، فهو يتعبّد لإنقاذ نفسه فقط، بينما العالم يسعى لإنقاذ الأمة من حضيض الجهل والتخلف، ويحرّرها من الأغلال والعبودية.

لا بد أن تحمل أنت ويحمل إبنك ـ أيضاً ـ همّ الإنجازات العظيمة، والضخمة، إذ لا حياة لمن يموت كما ولد، ولم يكن قد رسم خطأ على صفحات التاريخ طوال أيام عمره.

إنّ هناك من الناس من يأتي إلى الدنيا ويغيّر لونها، بينما هناك من يأتي إلى الدنيا وهو لم يغيّر حتى لون غرفته، ولون محيطه العائلي.

لقد زوّد الله الإنسان بطاقات مادية هائلة في جسمه، كما زوّده ـ أيضاً ـ بطاقات روحية ضخمة، فكان باستطاعة الإنسان أن يهز التاريخ كله، وله القدرة على أن يحرّك شعباً كاملاً لمجرد أن يحرّك شفتيه وهو جالس على بعد آلاف الأميال.

وتكبر قدرة الإنسان حينما يبلغ الدرجة التي يخاطبه الله فيها، ويقول الحديث القدسي:

«عبدي أطعني تكن مثلي . . أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون» !

ولكن الواقع أنّ الإنسان قد أهمل طاقاته، وأهمل نفسه العظيمة، فاكتفى من دنياه بالإنجازات البسيطة، ومن آخرته بالعمل القليل.

ومن هنا يجب أن لا تكون همم أبناءنا مقصورة على قرى معيّنة، وبلاد صغيرة . . ترى فما هو المانع الذي لا يجعلنا ندعهم يفكرون بكل الأصقاع . .

أوليست الأرض جميعاً لله، والإنسان المسلم إنما هو خليفة الله (تعالى) على أرضه؟

إنّ الأطفال الذين يولدون، وهم لا يعرفون موقع أنفهم من موقع فمهم، ولا يعرفون كيفية الأكل والمشي، والكلام، باستطاعتهم أن يكونوا ذلك الإنسان القادر على صناعة المركبة الفضائية «أبولو» التي غزت القمر، بل وأن يكونوا أقدر وأعظم.

كما أنّ باستطاعتهم أن يكونوا معلمي البشرية، فيحركوا الأمة والأجيال القادمة، بمبادئهم، ومواقفهم وبطولاتهم العظيمة، وذلك بما أودع الله (تعالى) فيهم القدرات والطاقات الهائلة، والتي لا تقف عند حدود.

ولهذا نجد أنّ الإمام الحسن عليه السلام دعى بنيه وبني أخيه وقال لهم: «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطيع منكم أن يحفظه، فليكتبه، وليضعه في بيته»[1].

وهكذا يشحذ الإمام الحسن بن علي عليه السلام همم الأبناء، ويُعدّهم لتحمّل المسؤوليات الجسام في المستقبل.

هذا وإنّ أكبر وأعلى همّة يجب أن نزرعها في أبنائنا هي همّة الفوز بالآخرة.

ولقد جاء عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: «بكى أبو ذر من خشية الله - عزّ وجل - حتى إشتكى بصره، فقيل له:

- يا أبا ذر ! لو دعوت الله أن يشفي بصرك.

فقال: إني لمشغول وما هو أكبر همّي !

قالوا: وما يشغلك عنه ؟

قال: العظيمتان: الجنة والنار !!

الجزء السابع

كيف تبني الطفولة الصالحة ؟

يقول الإمام علي عليه السلام:

«ما سألت ربي أولاداً نضر الوجه..

ولا سألته ولداً حسن القامة..

ولكن.. سألت ربي أولاداً مطيعين لله، وجلين منه..

حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله..

قرّت عيني».

الفصل الأول

المطلوب: أبناء صالحين

كان لا بد للإنسان أن يكون صالحاً، وإلا فليس أمامه من خيار غير أن يكون مثل الحيوان أو أضل منه.

كيف يكون ذلك؟

تعالوا نرى ما هو الحيوان؟ وهل يختلف عن الإنسان؟

الجواب:

إنّ الحيوان قد يكون أقوى من الإنسان جسدياً. فليس الإنسان أقوى من الفيل والأسد والحيوانات الكاسرة ذات القوة الحديدية. كما أنه ليس أجمل من الطاووس، ولا أطول من الزرافة !

وإذا كان للإنسان عينان فقط، فإن للذبابة بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ عين.

وإذا كانت قدرة الرؤية في الإنسان، هي قدرة محدودة باتجاه واحد، فإن قدرة الرؤية في الذبابة تشمل كل الإتجاهات.

وتستطيع الذبابة أن تطير بسرعة ثمانين كيلو متراً في الساعة، وإذا أخذنا بعين الإعتبار طولها الذي لا يتعدى السنتيمتر الواحد، فهذا يعني أنّ للذبابة القدرة على السرعة ٧ ملايين مرة أكثر من حجمها، أي أنها في السرعة أقوى من الصاروخ.

وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن ينجب أكثر من ٤ أولاد أو ٧ على الأكثر في كل عام، فإن ذبابتين ـ إنثى وذكر ـ تستطيعان أن تنجبا الملايين فيما إذا كانت الظروف ملائمة، ويقدر العلماء: أن ذبابتين، يمكنهما أن تنجبا خلال عام واحد ـ عن طريق التكاثر ـ بمقدار ما تغطي به الكرة الأرضية كلها بارتفاع ١٥ متراً مع العلم أن أقصى عمر للذبابة هو أربعون يوماً فقط.

والخفاش الليلي حينما يحلّق في الفضاء، فإنه يستخدم حاسته كما يستخدم الإنسان اليوم جهاز الرادار.

وهناك بعض الحيوانات تسمع الأصوات ذات الذبذبات العالية والمنخفضة دون أن يستطيع الإنسان سماعها.

وهناك الكثير من الحيوانات التي تستطيع أن تتنبأ بحدوث الزلازل قبل وقوعها، حتى إنّ الإنسان اليوم لجأ إلى الإستفادة منها لمعرفة مواقيت الزلازل وأماكنها.

والكتكوت الصغير يخرج رأسه من البيضة وهو يفتش عن «الحب» ويعرف أي «حب» ينفعه وأي «حب» يضره، ويعرف الجوع والعطش، ويفهم كيف يمشي، وكيف يأكل وكيف يلعب.

بينما طفل الإنسان يولد وهو يجهل كل شيء وتمر شهور قبل أن يعرف موقع فمه من موقع أنفه وإذا تركته قبل أن تعلمه قضية طعامه وشرابه، فهو قد يأكل الجيفة ويشرب الماء الآسن.

إذا.. فما هو الفرق بين الإنسان والحيوان ؟

لا فرق بين الإنسان والحيوان إذا ما كان الإنسان كالحيوان.. يمشي ليجد طعاماً يأكله.. ويأكل ليمشي.. ويمشي ويمشي، ثم ينام ويجلس وهكذا دواليك.

بل ـ وأحياناً ـ يكون الحيوان أفضل من الإنسان الذي اتخذ إلهه هواه، يقول الله عز وجل في القرآن الحكيم: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

إنّ الإنسان الذي يأتي إلى الحياة الدنيا، ولا يكون شغله فيها إلا تحويل الطيبات إلى خبائث، فقط وفقط، إن هذا الإنسان لن يكون بأفضل من تلك البقرة التي تدر الحليب واللبن، ثم ـ بعد ذلك ـ تقدم جسدها لحماً طرياً ليأكله الناس.

نعم.. الإنسان أفضل من الحيوان ـ وبدرجة لا تقاس ـ إذا ما كان الإنسان صالحاً في هذه الحياة الدنيا.

والإنسان الصالح يختلف عن الإنسان السيء باختلاف أهدافه ووظيفته في الحياة، فهو جاء للحياة من أجل الصلاح والعمل الصالح.

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٣.

ولذلك قال الله (عز وجل) مخاطباً أصحاب الرسالات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾(١).

فلا إشكال من أكل الطيبات، لكسب القوة والنشاط.. ليس للخلود إلى مزيد من النوم والراحة ـ كما تفعله الحيوانات ـ وإنما من أجل مزيد من التحرك والعمل الصالح.

ومن هنا فليس من الصحيح أن ننجب أبناءاً لكي يأكلوا جيداً ويمشوا جيداً وينامو جيداً ثم يموتوا كما تموت الثعالب والديدان.

وإنما المطلوب منّا أن ننشئ أبناءاً صالحين رساليين يعملون على تحقيق أهداف الله (عز وجل) ورسله في الحياة.

وما أعظم من أن يكون إبنك صالحاً!

إنها درجة عالية، وعالية جداً أن يكون الإنسان كذلك.

حتى الأنبياء كانوا يطلبون من الله (تعالى) أن يلحقهم بالصالحين.

يقول النبي إبراهيم عليه السلام في دعائه:

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٢).

ويقول النبي سليمان ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ:

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٣).

وكما يقول الله (عزّ وجل) فإن أفضل الناس جميعاً هم أولئك المؤمنون العاملون بالصالحات:

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) الشعراء: ٨٣.

(٣) سورة النمل آية ١٩.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[١].

ويقول (عز وجل):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾[٢].

ونحن نقرأ الدعاء ـ المروي عن الإمام السجاد عليه السلام ـ ونقول:

«اللهم حبب إليّ لقاءك، واجعل لي في لقائك خير الرحمة والبركة..

وألحقني بالصالحين، ولا تخزني مع الأشرار..

وألحقني بصالح من مضى..

واجعلني مع صالح من بقي..

وخذ بي سبيل الصالحين..

وأعني على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم».

ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: **«ميزان الله من عبده المؤمن ولد صالح يستغفر له».**

* * *

والسؤال الآن: كيف ننشئ الأبناء الصالحين؟

ومن هو الإنسان الصالح قبل ذلك؟

الجواب:

الإنسان الصالح ـ حسب التعريف القرآني ـ هو الإنسان الذي يحقق في نفسه الشرطين التاليين:

---

(١) سورة البينة آية ٧.

(٢) سورة لقمان آية ٨.

الأول: «الإيمان».

الثاني: «العمل الصالح».

يقول الله (عز وجل):

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾(١).

ويقول (تعالى):

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٢).

فكل إنسان خاسر في صفقة الحياة، لو لم يكن مؤمناً ويعمل الصالحات.

والإيمان - في نظر الإسلام - إلتزام فكري بين الإنسان وبين الله، وهو وسيلة من أجل بناء المجتمع الصالح السعيد الذي تنبع مقاييسه جميعاً من مثله العليا.

والإلتزام الفكري هذا يسمى بالعقيدة، والتي تعني:

أ - «الإعتقاد بصانع حكيم مدبر، خلق الكون وجعل له هذا النظام الدقيق».

ب - «الإعتقاد بعدالة هذا الصانع الحكيم، وعدالة الكون».

ج - «الإعتقاد بنزول الوحي من قبل الصانع على بعض الأفراد».

د - «الإعتقاد برسالة نبي الإسلام.

---

(١) سورة العنكبوت آية ٩.

(٢) سورة العصر آية ١ - ٣.

ولكن هذه العقيدة ليست سوى «أرضية» الإسلام أما البناء على هذه الأرضية فهو «العمل الصالح».

من هنا فإنّا نجد إن مادة «آمن» لا ترد في القرآن ألا وهي مقرونة غالباً بـ«وعملوا الصالحات» مثل الأيات التاليات:

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[1].

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2].

وتكن.. كيف يصنع الإيمان الإنسان الصالح؟ أليس العلم والتطور كافياً عن ذلك؟

يقول أحد المؤلفين الكبار: «إن الآباء الذين يهتمون إهتماماً جنونياً بتربية أطفالهم العلمية، ولا يهتمون بأي شكل من الأشكال بتربيتهم الدينية إنما يهدمون كيانهم أولاً، ويهدمون كيان المجتمع ثانياً.

إنّ العلم عند الإنسان إنما هو (آلة) قد يستعمل في خير أبويه وخير أمته وقد يستعملها في نسف أبويه ونسف أمّته.

الشيء الوحيد الذي يمنع صاحب (الآلة) ـ أي آلة كانت ـ من إستعمالها في الشر هو الوجدان الديني الذي يتحول ـ إذا استمرت الحياة عليه ـ إلى (بليس داخلي) يقف في وجه صاحبه بمجرد التفكير بالشر.

وعلى الآباء الذين يريدون السعادة لحياة أولادهم أن يهدفوا إلى إعطاء الأولاد قسطاً من العلم وقسطاً من الدين حتى لا يتحول هؤلاء أعداء للآباء والأمهات. كما تحول شباب أميركا وأوروبا.

ففي أوروبا كثيراً ما يشاهد الإنسان أنّ الإبن يحاول أن يضر الأب لماذا؟ لأنه يشعر بالإستقلال الكامل عنه، ولا يجد أي دافع إلى احترامه أو تقدير خدماته السابقة.

---

(١) سورة البقرة آية ٦٢.

(٢) سورة الكهف آية ٨٨.

إنّ الفرد العالم المتدين يمكن أن يكون ترسانة للمجتمع لأنه يعرف ما يريد من الحياة، ويعرف ما تريده منه. أما العالم بلا دين فهو يعرف الحياة ولكنه لا يعرف ما تريده منه.

والذي يريد لطفله السعادة فعليه أن يعوّده على فهم الدين والعلم معاً».

* * *

والمثال التالي يبين لنا ـ بوضوح ـ الأضرار الناجمة من جراء الإبتعاد عن الدين:

لقد حدث أن أحد الأطفال إتفق مع رفاقه في باريس على تنظيم عملية يجري فيها إختطافه ليكره أباه بعد ذلك على دفع مبالغ طائلة إزاء الإفراج عنه.

وهكذا إحتجزه رفاقه، واتصلوا بوالده عن طريق الهاتف وأعلنوا أنهم المسؤولون عن إختطاف إبنه البالغ من العمر ١٢ عاماً، وأنهم لن يفرجوا عنه ما لم يدفع مبلغ مائة ألف فرنك فرنسي.

واضطرّ الأب إلى دفع المبلغ، فذهب الطفل ـ بعد الإفراج عنه ـ مع بقية رفاق القضية يبددون الأموال في الملاهي والبارات، ومثال آخر كتبته إحدى الصحف العربية تقول:

أطلق على أبيه أربع رصاصات.. ثم هشم رأسه بمؤخرة البندقية.

حدث هذا أمام شقيقة المتهم الكبرى، وكان سبب الجريمة حديقة موالح مملوكة للأب القتيل.. أراد الابن القاتل أن يستأثر بها ويحرم أخوته.

قضت محكمة الجنايات بالإعدام شنقاً على الإبن القاتل.

وترجع ظروف الحادث إلى يوم كان الأب ـ البالغ من العمر ستين عاماً ـ يجلس في حديقة الموالح التي يمتلكها وبجواره إبنته ـ البالغة من العمر ٣٠ عاماً

ـ يتحدثان في شؤون زراعتهم عندما فوجئا بالإبن ـ يخرج عليهما من حقل مجاور ومعه بندقية سريعة الطلقات.. ووجه فوهة البندقية إلى صدر أبيه.. ذهلت شقيقته في الوقت الذي حاول الأب الهرب من الموت ولكن الإبن تعقّب أباه وأطلق عليه أربع رصاصات أصابته في صدره وبطنه فسقط على الأرض. ولم يكتف المتهم بهذا، بل إنهال على رأس والده بمؤخرة البندقية حتى هشمها.. وأمام هذا المنظر المخيف هربت الأخت وأسرعت إلى مركز الشرطة تبلغه بخبر مصرع والدها.

* * *

وهذا ما يفعله كل إنسان غير مؤمن بالله واليوم الآخر.

ويومياً نقرأ عشرات الحوادث التي يرتكبها الذين لا إيمان لهم، من أجل المادة، ولذاتها.. فبعضهم يبيع بناته، وبعضهم يتاجر بزوجته، والآخر يقتل أباه، والرابع يمارس الجنس مع أمه وكل ذلك نابع من الفراغ من الإيمان..

فالذي لا إيمان له لا وجدان له.

والذي لا إيمان له، لا عهد له.

والذي لا إيمان له، لا وفاء له.

فلو إفترضنا أنّ رجلاً لا يؤمن بالله، واليوم الآخر، وبدل ذلك يؤمن بالدنيا ـ خلقاً وخالقاً ـ ويؤمن بلذاتها حسب ما يقول المثل المادي:

«هنا كل لذة. أما بعد ذلك فلن تجد سوى الموت» !!

إنّ هذا بالطبع لن يتردد عن إرتكاب أكبر جريمة من أجل مغنم مادي، مهما كانت الجريمة كبيرة، ومهما كان المغنم بسيطاً..

ولا غرابة في ذلك.. ترى ما هو الرادع الذي يردع الذين لا إيمان لهم؟!

وهل يؤمنون بيوم الحساب ؟

لا.. ليس لديهم أي رادع لولا وجود الشرطة، وفي المكان الذي يخلو من «البوليس» تجدهم لا يتورعون عن إرتكاب أي جريمة.

بينما الذين يؤمنون بالله ـ الإيمان المقرون بالعمل الصالح ـ هؤلاء يمتلكون «الوازع الداخلي» ويسمى بـ«التقوى» أي الخوف من الله ـ عز وجل ـ الذي يراهم في السر والعلن، وحين يصبحون ويمسون.

أتريد شاهداً على ذلك؟

هناك قصة ذلك الفتى الذي دفعه الإيمان للوفاء بعهده، في وقت كان ذلك يكلفه حياته.. وإليك تفصيلها:

حدث مرة أن النعمان بن منذر أحد ملوك العرب، قام برحلة صيد إلى الصحراء ومن بعيد تراءى له صيد سمين، فاستهواه وتعقبه وفيما إنشغل بتعقيبه ضيّع الطريق وتاه في الصحراء وحاول ـ عبثاً ـ الحصول على علامة توصله إلى المدينة، أو على الأقل إلى جماعته، ولكنه أخفق وبمرور الوقت هبط الليل، ففقد الأمل بالعثور على الطريق فعاد يسوق الفرس بلا هدف، ومن دون إتجاه..

ومن بعيد تراءت له خيمة متواضعة كأنها رملة سوداء تغطي وجه الصحراء فأسرع إليها بعد أن مزّقه العطش والجوع، لعلّه يجد فيها ما يروي عليله، أو يسعفه من الجوع.

ولدى الإقتراب إليها، رأى إمرأة عجوزاً، تخرج إليه مرحبة، فبادرها قائلاً:

ـ أماه، أنا جائع هل لديك طعاماً؟

فأجابته:

ـ على الرحب والسعة، إنزل بارك الله فيك، إن الضيف ينزل برزقه

ويذهب بذنوب أهل الدار.

وقبل أن يدخل الخيمة طالبها بالماء فسقته من كوز بارد ثم أدخلته الخيمة وبدا النعمان يعرفها بنفسه قائلاً:

ـ أنا صياد من أهل المدينة إنقطع بي الطريق وضيّعت، والآن أطلب منك طعاماً.

فرحّبت به، وأخبرته أن إبنها الأكبر سيأتي بعد حين وأنه سيتولى ذبح التيس الوحيد الذي تمتلكه لتقدمه عشاء له..

وبينما كان النعمان والعجوز ينتظران عودة إبنها الأكبر وإذا بفارس معه جمل بلا راكب طرق باب الخيمة، وصاح بمن فيها: ألا وإنّ ولدكم قد مات. وهذا جمله أخذته إليكم.

وظهر أنّ إبنها الأكبر قد سقط في البئر ومات، ولكن العجوز لم تقل شيئاً، إنما فقط طلبت من الراكب أن يتعاون معها في ذبح التيس لتصنع منه طعاماً لضيفها.

وبعد لحظات كان كل شيء مهيئاً: الطعام، والماء والفراش.

ولما أصبح الصباح، وعزم النعمان على المسير دلته العجوز الطريق، أعطته زاداً للطريق، وودعته خير وداع.

وفي اللحظة الأخيرة أخبرها النعمان أنه سلطان البلاد وأن بإستطاعتها أن تزوره في بلاطه ليرد عليها جميلها..

.. فمضت الأيام، وشبّ إبن العجوزة الأصغر، ومرّت المنطقة بفترة قحط وجذب، وأشرفت العجوزة على الهلاك، فطلبت إبنها وذكرت له قصة تلك الليلة التي أنقذت فيها السلطان من الجوع والعطش والموت، وطلبت منه أن يذهب إلى بلاطه، ويطالبه برد الجميل لعلهما ينقذان نفسيهما من الهلاك.

فشدّ الولد الرحال، وقصد بلاط النعمان، والأمل الحريري يمشي قدامه،

وينسج له ألف صورة، وصورة.

أليس يذهب إلى السلطان؟ وأليس هذا السلطان قد قضى ليلة ممتعة في خيمة أمه؟ إذن فلا بد أن يكون في جميله ما يكفيهم لعام كامل..

هكذا فكر الفتى وهو يقترب إلى المدينة.

ولدى بوابة المدينة رأى جمهرة من الناس ينتظرون السلطان فإزداد فرحاً، إذ أصبح باستطاعته أن يلتقي بالسلطان بلا إنتظار لدى البلاط.

ومن بعيد تراءى موكبه. فلم يستطع الشاب أن يملك نفسه فانطلق نحوه وهو يصيح:

«أيها السلطان أنا إبن العجوزة التي آوتك في خيمتها جئتك لتنقذنا..».

ولدى الإقتراب من فرس السلطان إنهال عليه الجلاوزة وأمسكوه وحملوه إلى النعمان.. فتأوّه النعمان وتأسف، لأن الشاب دخل عليه في وقت غير مناسب جداً.. ذلك أن النعمان كانت له حبيبتان جميلتان، ماتتا في ليلة واحدة، فحلف أن يعتبر يوم موتهما يوم الحزن الأكبر «وأن يخرج إلى قبرهما، ويقتل في الطريق أول من يلقاه..».

ومن سوء حظ الشاب، أنه إلتقى بالسلطان في ذات الوقت الذي كان يذهب إلى قبر حبيبته وكان أول من إلتقى به..

وهكذا حلّت عليه اللعنة !

فقد قال له النعمان:

ـ يا ولدي .. بئس الوقت الذي أتيت فيه.. إنني لا أنسى جميل أمك، فقد آوتني وأنا ضائع. وأطعمتني وأنا جائع. وأروتني وأنا عطشان، ودلتني على الطريق ولكن لا أستطيع أن أتركك الآن لأنّ سابق لا أخالفه ولا بد أن أقتلك.

غير إني مستعد لتقديم ما تريد .. كل شيء أضعه تحت تصرفك، ولكن لا

بد من قتلك.. هذا ما لا يمكن التنازل عنه. هذا من حظك الأسود.

فارتبك الشاب وقال:

ـ وماذا تنفعني كل عطاياك إذا كان لا بد من قتلي؟

ثم قال الشاب ـ أيضاً ـ : أيها السلطان لقد جئناك لترد علينا جميلنا. والآن فاجعل جميلك عليّ أن تتركني لشأني.

فقال النعمان: لا يمكن لا بد من قتلك!

فعرف الشاب أنّ السلطان مصمم على قتله فقال له:

ـ إذا كان لا بد، فاسمح لي أن أرجع إلى أمي فقد تركتها منذ خمسة عشر يوماً في الصحراء لا ماء عندها ولا طعام ودعني أستخبر عنها، وأودعها، ولك عندي عهد بالعودة على رأس الشهر.

فقال النعمان:

ـ هل لديك ضامن؟

قال الشاب: لا أعرف هنا أحد ولكنني صادق في وعدي.

قال النعمان : هذا لا يكفي..

فبدأ الشاب ينظر إلى الجمع المحتشد، فرأى رجلاً، تبدو عليه آثار الصلاح، ينظر إليه بعطف، فتقدم إليه قائلاً:

ـ هل يمكنك أن تضمنني، حتى أذهب إلى أمي، وأعود.

فرقّ له قلب الرجل وضمنه.

وقبل أن يبدأ الشاب رحلة العودة إلى أمه أعلن السلطان أنه سيقتل الضامن إذا لم يعد الشاب في رأس الشهر.

وترقبوا ..

ومرّت الأيام .. ولم يظهر أي أثر للشاب .. كان اليأس يمزق الضامن .. وكانت الساعات تمر عليه وكأنها القرون.

وفي اليوم المحدد، جمع النعمان حاشيته، وذهب بهم إلى قبر عشيقتيه، وأمر بإحضار الضامن. وانتظروا -حتى الظهر فلم يظهر أي أثر للشاب.. أراد النعمان أن يقتل الضامن بدلاً عن فاستمهله الوزراء، على أساس أنّ التحديد يعني الإنتظار إلى المغرب..

إنتهى العصر.. كانت الشمس تميل إلى الغروب.. وكانت شحنات الأمل تتبدد أمام عينيّ الضامن الذي كان يتطلع إلى الصحراء في يأس..

وفيما كان السلطان يأمر الجلاوزة أن يفرشوا النطع ويقيدوا الضامن، ظهر من بعيد شبح إنسان قادم من الصحراء على عجل..

فأمر النعمان، أن ينتظر السياف..

ومع إقتراب الشبح تبيّن أنه هو الشاب.. كان يلهث من الركض، وعليه آثار الإرهاق الشديد..

وعندما وقف أمام النعمان قال له:

... الآن نفذ في حلفك، فقد ودّعت أمي !

فاندهش النعمان من وفاء الشاب، فقال له:

ـ عجيب أمرك، فقد جئتنا تطلب الدنيا، فأردناك للموت وفررت بنفسك فنماذا أتيت إليه برجليك؟

فضحك الشاب وقال:

ـ إنّ إيماني هو الذي دفعني إلى ذلك. وأضاف:

ـ إن إيماني يخبرني «أنّ من لا وفاء له لا دين له».

فأطرق النعمان برأسه، وخاطب ضميره: إذا كان إيمان هذا الشاب يدفعه للمثول أمام الموت، فلماذا أكون عاجزاً عن رفعه عنه؟

وهكذا قرّر أن يكون يوم حزنه الأكبر إلى يوم عيد.. ودقّت الأجراس. وأكرم الشاب إكراماً عجيباً.

ترى: في غياب الإيمان هل يمكن أن نتصور نفسية كنفسية هذا الشاب؟

وهكذا هم الذين يحملون بين ضلوعهم الإيمان، فإن كل تصرفاتهم تصبح إيمانية جميلة ومهذبة وإنسانية.

ذلك لأن الإيمان هو الخضوع لله، والهدف من الخضوع لله هو العمل والسلوك الصالح.

ولهذا فإن القرآن يعتبر الذي لا يتقيد سلوكياً بإرشادات السماء، فيدع اليتيم، ولا يحصي على طعام المسكين، يعتبره مكذباً بالدين فيقول:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[1]

ويقول القرآن:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

ويقول: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.[3]

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا

(١) سورة الماعون آية ١ ـ ٣.

(٢) سورة لقمان آية ١٨.

(٣) سورة الفرقان آية ٦٣.

﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

ويقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

إن النتيجة العملية هي المهدوفة من الإيمان، ولذلك أصبحت علامة الإيمان مواقف الإنسان العملية وسلوكه الأخلاقي.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«علامة الإيمان: أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فصل عن عملك، وأن تتقي الله في حديث غيرك».

وسئل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: بم يعرف المؤمن؟

فأجاب: **بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه.**

وسئل: أي المؤمنين أفضلهم إيماناً؟

فأجاب **أفضلهم خلقاً.**

المؤمن الحقيقي هو الذي تعرفه بأعماله ومواقفه، كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب.**

ولا يضيع ما إستودع.

ولا يحسد. ولا يطعن، ولا يلعن.

ويعرف بالحق وإن لم يشهد عليه.

ولا يتنابز بالألقاب.

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٧ ـ ٧٤.

(٢) سورة القصص آية ٨٣،٨٤.

في الصلاة متخشع إلى الزكاة مسرع.

في الزلازل وقور.

في الرخاء شكور. قانع بالذي له.

لا يدّعي ما ليس له. ولا يغلبه الشح عن معروف يريده.

يخالط الناس كي يعلم.

ويناطق الناس كي يفهم.

إنّ المؤمن يأخذ بأدب الله»

* * *

إنّ المطلوب: أبناء يلتزمون بروابط الإسلام في علاقاتهم مع أنفسهم ومع الناس ومع الأحياء.

المطلوب: أبناء مناقبيون ينبذون القيم الجاهلية التي تحكم دنيا اليوم ينبذون التعالي وسوء الظن وبإختيار أجمل الألفاظ وأحسن التعامل.

المطلوب: أبناء لا يسمحون لأنفسهم الهبوط إلى مستوى عبادة الراحة والتعالي واللمز والغمز بالآخرين.

المطلوب: أبناء صالحين ينبع قولهم من عملهم ويكونون رمزاً لجمال الدين في كل شيء.

أو ليس الدين تربية قبل أن يكون تعليماً!

الدين يزكي النفس أولاً، ويصفيها من أقذار الشهوة والطمع والحسد، وكل المساويء.

والإنسان لن يكون «مؤمناً» حتى يتكون في داخله «الوازع النفسي» الذي لا يفتأ عن مراقبته ومحاسبته في كل صغيرة وكبيرة.

وكل ذلك من أجل ردع الإنسان عن الإفساد ودفعه نحو العمل الصالح.

فالصلاة - مثلاً - عملية تطهير وإعداد.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

والفحشاء كل خرق للنظام الإنساني.. كما أن المنكر هو كل ما يضر بالفرد والمجتمع.

يقول رسول الله ﷺ: **«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعداً»**.

من هنا فالصلاة التي لا تنتهي إلى إعداد الإنسان الصالح فهي عملية إستعراضية لا معنى لها.

وكذلك الصوم الذي لا ينتهي بزرع التقوى (الوازع النفسي) في داخل الإنسان، فهو تجويع سخيف للنفس.

يقول الرسول الأكرم ﷺ: **«كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس من قيامه إلا السهر والتعب»**.

* * *

ونجد في التأريخ أن النبي إبراهيم عليه السلام وبعد أن بنى الكعبة إتكأ على جدرانها، وقال: الحمد لله. فأوحى الله (عز وجل) إليه:

- وماذا صنعت ؟

قال إبراهيم: بنيت بيتك.

قال الله: وهل أطعمت جائعاً؟ وهل كسوت عرياناً؟

* * *

ونجد في التأريخ الإسلامي أنه حدث مرة أن سافر النبي ﷺ مع مجموعة

---

(١) العنكبوت آية ٤٥.

من أصحابه إلى صحراء، نصفهم كان صائماً والنصف الثاني كان مفطراً..

وعند الفطور تولى المفطرون إعداد الطعام للجميع، باعتبار أن الصائمين يعانون عادة من الضعف.

ولما أكل الجميع الفطور قال رسول الله ﷺ مشيراً إلى عملية إمداد الطعام: «**لقد ذهب المفطرون بأجر الصائمين جميعاً**».

لماذا؟

لأن المفطرون أتوا بالنتائج، والصائمون كانوا يأتون بالأسباب، بإعتبار أن الصوم طريق لخدمة الناس.

* * *

بناءاً على ذلك يتضح لنا ـ جيداً ـ إن الدين يدعو إلى العمل الصالح، وبالتالي فإن الذي يؤمن.. ويعمل صالحاً هو الذي يكون من الصالحين.

وهذا ما يجب أن يفكر فيه الآباء بالنسبة إلى أبنائهم.

فلا يركن الوالدان إلى الراحة والإطمئنان قبل أن يخلقا من إبنهما إنساناً مؤمناً، ملتزماً بدين الإسلام، يكون همه «العمل الصالح» وهدفه تحقيق الخير والصلاح للبشرية جمعاء.

ولهذا.. كانت التربية الدينية للأبناء أساساً لكل القضية التربوية، ومن دونها لا يمكن أن نبني الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع السليم.

الفصل الثاني

كيف تزرع الإيمان في طفلك؟

ذات يوم مرّ النبي ﷺ على مجموعة من الأطفال، وبعد أن نظر إليهم قال: «**ويل لأولاد آخر الزمان من آبائهم**»!

فقيل:

يا رسول الله من آبائهم المشركين؟

فقال:

لا .. من آبائهم المؤمنين، لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلموا أولادهم منعوهم ورضوا عنهم [في مقابل ذلك] بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم بريء.. وهم مني براء !!

من خلال هذا الحديث الشريف يتضح لنا حجم المسؤولية التي تقع على كاهل الآباء تجاه أبنائهم، من حيث التربية والتعليم الديني.

وفيما يلي بعض الأحاديث، وهي تؤكد وتُبرز الأهمية البالغة للتربية الدينية: يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«**إنّ المعلّم إذا قال للصبي (بسم الله) كتب الله له، وللصبي، ولوالديه براءة من النار**»..

وكان عبد الرحمن السلمي يعلم ولداً للإمام الحسين سورة الحمد، فعندما قرأ الطفل السورة كاملة أمام والده ملأ الإمام عليه السلام فم معلّمه دراً بعد أن أعطاه نقوداً وهدايا.

فقيل له في ذلك ـ أي حينما تعجبوا من عطائه الجزيل ـ فقال عليه السلام: وأين يقع هذا من عطائه (يعني تعليمه).

ويقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«إن الله (تعالى) يجزى الوالدين عظيماً [في الآخرة] فيقولان:

ـ يا ربنا أنى لنا هذا ولم تبلغها أعمالنا؟

فيقول:

ـ هذا بتعليمكما ولدكما القرآن .. وبتبصيركما إياه بدين الإسلام».

وتسأل: أي شيء من الدين يجب أن نعلّمه أبناءنا، وكيف نزرع الإيمان في نفوسهم؟

الجواب: إنّ الحديث عن التربية الدينية إنما هو حديث عن التعليم الديني من جهة، وحديث عن السلوك وبناء الشخصية الصالحة من جهة أخرى.

وبناء على ذلك، فإن الآباء ملزمون على تعليم أبنائهم المسائل الأولية للإسلام.

وأول شيء يجب أن يتعلّمه الأبناء من مسائل الدين الأمور التالية:

أولاً: أصول الدين الخمسة وهي:

١ ـ التوحيد (الإعتقاد بأن الله واحد).

٢ ـ العدل (الإعتقاد بعدالة الله عز وجل).

٣ ـ النبوة (الإعتقاد بنبي الإسلام والأنبياء من قبله).

٤ ـ الإمامة (الإعتقاد بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام).

٥ ـ المعاد (الإعتقاد بيوم القيامة).

ثانياً: فروع الدين العشرة وهي:

١ ـ الصلاة.

٢ ـ الصوم.

٣ ـ الخمس.

٤ ـ الزكاة.

٥ ـ الحج.

٦ ـ الجهاد.

٧ ـ الأمر بالمعروف.

٨ ـ النهي عن المنكر.

٩ ـ التولي (لأولياء الله).

١٠ ـ التبري (من أعداء الله).

ثالثاً: شرائع الإسلام.

رابعاً: الأحكام الإسلامية.

خامساً: حلال الله (عز وجل) وحرامه.

وكل ذلك بالطبع قد ورد شرحه وتفصيله في مؤلفات عديدة، وهي متوفرة، وفي متناول الجميع ولم يسعنا المجال ـ هنا ـ إلى ذكرها وتكرارها، وهي موجودة ـ أيضاً ـ في الرسائل العملية للعلماء والمجتهدين، ومراجع الدين الأعلام.

سادساً: القرآن الكريم وتفسيره.

ويعتبر القرآن الكريم المصدر الفكري للدين الإسلامي، كما أنه يعتبر الكتاب الذي جاء لصناعة الإنسان الصالح، والأمة المؤمنة، وهو هدى وبصيرة للمسلمين.

ومن هنا فإن تعليم القرآن الكريم للأبناء يُعتبر من الضرورات الأولية، أو ليس هو الذي فيه تبيان كل شيء؟ فلماذا إذن لا نعلمه أبناءنا منذ الطفولة الباكرة؟ ولماذا لا نأمرهم بحفظ آياته البينات؟

إن مساعدة بسيطة من الوالدين في وضع برنامج لأطفالهما وإيجاد الحوافز والمشجعات اللازمة يساهم بشكل كبير لأن يحفظ الأبناء القرآن الحكيم كله وهم في عقدهم الأول.

ولقد رأيت بعيني ـ في مسابقة لحفظ القرآن ـ إن طفلة مسلمة غير عربية كانت قد حفظت القرآن بأجمعه، وهي لم تتجاوز بعد الثامنة من عمرها.

وليس هذا المطلوب وحسب، بل يجب على الوالدين ـ أيضاً ـ أن يقدما القرآن لأطفالهما بصفته كتاباً ومنهجاً للحياة يتدبرون في آياته، ويستخرجون منه الرؤى، ويستلهمون منه الهدى في كل طرائق الحياة.

يقول الإمام عليه السلام في وصيته لإبنه الحسن عليه السلام:

«وإن إبتدأك بتعليم كتاب الله (عز وجل) وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه لا جاوز ذلك بك إلى غيره».

إذن فإن القرآن هو منهج التعليم والتربية الدينية، وتعليمه يجب أن يكون قبل أي تعليم.

* * *

وبالطبع فإن كل ذلك يجب أن يُشيَّد على ركيزة أساسية وهي القواعد الثلاث التالية:

١ ـ تقوية الإيمان بالله (سبحانه تعالى).

٢ ـ تقوى الله ـ عز وجل ـ، ويكون بالخوف من العقاب.

٣ ـ الشوق إلى الجنة وحب الأجر والثواب.

يقول الله (عز وجل): ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1].

ويقول (عز وجل):

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٦.

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

كما أن الله (عز وجل) يخفونا من العقاب فيقول:

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

ولذلك فإن أحاديث النار والجنة هي التي يجب أن تكون الرادع والدافع للأبناء إلى المزيد من التقوى والعمل الصالح، والإلتزام الصادق بالإسلام، وبفرائضه وأحكامه وحلاله وحرامه.

* * *

تلك كانت الخطوط العريضة لبعض المسائل الدينية التي ينبغي تعليمها للأبناء.

أما السؤال الآن: كيف نزرع الإيمان في نفوس أبنائنا بصورة دائمة وعميقة؟

والجواب: يكون ذلك عبر الطرق التالية:

١ ـ حبّب «الله تعالى» إلى طفلك.

وذلك يكون عبر تبيين رحمة الله وفضله الواسع، ورزقه الدائم، وامتنانه على الانسان.

يوضح الأب ـ مثلاً ـ فائدة الأسنان واليدين والرجلين وكل أعضاء الجسم، ثم يقول لطفله أن الله (عز وجل) هو الذي أعطاك كل هذا!

وهكذا يتحدث معه حول الشمس والقمر، والجبال، والنبات، وكل المخلوقات الأخرى ويبيّن فوائدها وخيراتها للإنسان والحياة، ثم يقول له بأن الله (عز وجل) هو خالق كل ذلك، وهو المعطي والمبديء والمعيد.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥.

(٢) سورة الزمر آية ١٦.

بهذه العملية وبطرق أخرى يستطيع الأبوان أن يربطا علاقة حب قوية بين أبنائهما وبين الله سبحانه وتعالى.

وإذا إنعقد الحب ـ حينئذٍ ـ ما علينا إلا أن نقول لأطفالنا إفعلوا هذا ولا تفعلوا ذاك، لأن الحبيب (الله عز وجل) يريد منا أن نتخذ الأول وندع الثاني.

٢ ـ عوّد طفلك الإلتزام منذ الصغر.

إن تعويد الأبناء على الإلتزام الإيماني منذ الطفولة وقيامهم ببعض الفرائض مثل الصلاة وقراءة القرآن، يساعد كثيراً في زرع الإيمان وتعميقه في نفوسهم عند الكبر.

ولذلك نجد أنّ الأحاديث الشريفة تؤكد على لزوم الصبي للصلاة منذ عامه السابع، بالرغم من أنّ الصلاة إنما تجب عليه في سن الخامسة عشر.

عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله في كم يؤخد الصبي بالصلاة؟

فقال «بين سبع سنين وست سنين».

ويقول الرسول الأعظم ﷺ:

«مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا أبناء سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، فإن كان إلى نصف النهار [أو] وأكثر من ذلك أو أقل، فإذا غلبهم العطش والغرث أفطروا حتى يتعودوا الصوم، ويطيقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام، فإذا غلبهم العطش أفطروا».

٣ ــ بيّن العلل والأسباب.

قبل أن تقول لولدك: صل: قل له: لماذا الصلاة؟

فالطفل حينما يندفع لإقامة الصلاة ـ أو أي فريضة أخرى ـ من تلقاء نفسه، وبإيمان كامل بالصلاة فإنه يكون ـ حينئذ ـ أفضل بكثير مما لو أقام الصلاة خوفاً من العصى.

ويُذْكر ـ في هذا المجال ـ أن العلامة الحلي حينما وصل إلى سن البلوغ، ووجبت عليه الفرائض، فرح فرحاً كبيراً، وأقام حفلاً بهيجاً بالمناسبة. فهل يا ترى نربي أبناءنا حتى يكونوا كذلك؟

٤ ــ كن القدوة لهم.

ليس هنالك من شيء يسارع في دفع الأبناء للإلتزام بالدين، وتقوية العلاقة بالإيمان والفرائض الإسلامية بأفضل من أن يكون الأبوان القدوة والمثل الأعلى لأبنائهما.

وهذا شيء طبيعي.. فلو كان الأب متقاعساً عن أداء الفرائض، وغير ملتزم بالحلال والحرام ـ آنئذٍ ـ لا نتوقع أبناءً إلا على هذه الشاكلة. وكذلك يكون العكس.

٥ ــ لا مساومة في مسائل الدين.

يقول الرسول الأعظم:

«علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها [فيما لو تركوا الصلاة] إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع».

على الأب العزيز أن يُشعر أبناءه بأن لا تنازل ولا مساومة هناك إتجاه أي تقصير في أداء الفرائض الدينية أو التكاسل عنها.

ولا يقولن قائل ـ في هذا المجال ـ أنا غير مستبد، وأبنائي أحرار في إلتزامهم أو عدم الإلتزام!

صحيح أنّ الإسلام يقول: (لا إكراه في الدين) ولكن لو تركنا الأطفال حسب رغباتهم وأهوائهم لما مشى منهم أحد في الطريق المستقيم.

وليس ذلك في مسائل الدين فقط، وإنما حتى في المسائل الأخرى، أو ليس الطفل يتقاعس عن الدراسة فيما لو تُرك له الأمر حسب مزاجه؟

٦ ـ تربية الأبناء على الروحانيات:

والروحانيات هي تلك القضايا التي تعمق في الأبناء الدوافع الدينية، وتدفعهم نحو مزيد من العلاقة مع خالق السماوات والأرضين، ومن ثم إلى مزيد من التحرك والبناء وعمل الصالح.

وتتصدّر القائمة هذه ـ قائمة الروحانيات ـ وقضايا الجنة ونعيمها، وقضايا النار وبؤسها وشقاءها وبعبارة أخرى: (الترغيب والترهيب).

إنّ قضية الجنة والنار تثير كل كوامن الخير في نفس الإنسان، وتدفعه نحو الإبتعاد من الفسق والعصيان، والخيانة، والمطلوب إستخدام هذه الوسيلة لدفع الأبناء نحو مزيد من الإلتزام بالدين.

وبالطبع نحن لا نقصد بالروحيات تلك الممارسات الصوفية المنفصلة عن واقع الحياة، والتي تجرد الإنسان ـ في الغالب ـ عن مسؤولياته الإجتماعية، والتي يرفضها الإسلام حينما يؤكد بأنه: (لا رهبانية في الإسلام) و (رهبانية أمتي الجهاد) وإنما نقصد بالروحيات ـ إضافة إلى وسيلة الترغيب والترهيب ـ الارتباط بالروافد الأصيلة للدين، وتعميق الروابط الخفية بين الإنسان وبين الله (قوة الأزل والأبد)، بشكل إيجابي وفعال.

إذ أن إرتباط الإنسان بالله يعني صقل نفسيته وعواطفه ومشاعره، وبالتالي تصفيتها باتجاه حب الخير وحب المجتمع، وبغض الشر، والحقد على أعداء الإنسان، وكل هذه تتحول إلى عوامل دفع، تخلق في الأبناء ديناميكية وحركة واندفاعة لا تتوقف.

أ ـ الإكثار من مطالعة القرآن الكريم، ونهج البلاغة.

ب ـ قراءة المزيد من المواعظ والحكم الواردة في أحاديث النبي ﷺ والأئمة الإثنى عشر عليهم السلام ومطالعة الكتب الإسلامية.

جـ ـ أداء بعض الممارسات العبادية المندوبة مثل: صلاة الليل، وبعض النوافل، طبعاً مع إعطائهم التفسير الإيجابي للعبادة والصلاة.

د ـ توجيههم للعبادة نحو قراءة بعض الأدعية والتي تعمل على صقل روح الفرد وتنزيهها من عوامل التخلف والإستسلام والخضوع مثل الأدعية التالية:

- دعاء مكارم الأخلاق.
- دعاء أبو حمزة الثمالي.
- دعاء الصباح.
- دعاء كميل.
- زيارة الجامعة.
- دعاء الإفتتاح في شهر رمضان.
- أدعية الأيام.
- مناجاة الإمام علي عليه السلام.

هـ ـ ذكر الموت، وأهوال القبر.. وزيارة القبور، والذهاب إلى العتبات المقدسة لزيارة النبي، والأئمة الأطهار، وتعويدهم على الصلاة في المساجد والجوامع الكبيرة، والصلاة جماعة.

و ـ والإطلاع على صفات المتقين، ومحاولة تقمصها واكتسابها، وهي موجودة في نهج البلاغة.

* * *

كان ذلك القسم الأول من التربية الدينية، وأما القسم الثاني، وهو الهدف المطلوب تحقيقه، والنتيجة المراد الوصول إليها من كل التعاليم الدينية، ألا وهي: «بناء الشخصية الصالحة».

فالإسلام تربية قبل أن يكون تعليماً، وهو سلوك عملي، وليس مجرد طقوس فلكلورية فارغة.

ولذلك يقول نبي الإسلام العظيم:

«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

والأخلاق: هي القيم والمثل الإنسانية العليا، وهي سلوك الإنسان الصالح.

ولا يكتمل الإسلام بدون الأخلاق (الجانب التطبيقي للإيمان) كما لا تكتمل الدار إلا بتمام مرافقها من غرف وسطح، وماء وكهرباء، أما من يصلي ولا يصدق، أو يحج ولا يؤدي الأمانة أو يأخذ بالأحكام دون إحترام حقوق الناس، وما شابه ذلك فليس من الإسلام في شيء.

إن ما يريده الإسلام من الإيمان هو أن يوقظ في الإنسان الشعور بأنه «مراقَب» ليس من قبل إنسان مثله، بل من قبل خالق الكون والحياة، حتى يواظب على تحركاته في الخلوات والإجتماعات، فيحدد سلوكه، ويصقل شخصيته.

ولذلك أخطأ العالم عندما ظن أن بإستطاعته الإكتفاء عن الإيمان بالتقنية، وأجهزة المراقبة، وجهاز البوليس، فكانت النتيجة أن أصبح الإنسان لا يتورع عن ظلم أخيه الإنسان واغتصاب حقوقه بلا أي وازع من الضمير والوجدان.

فالوزير قد يشرف على الوزارة وموظفيها، ولكن من يشرف على الوزير؟

قد تقول رئيس الوزراء .. ولكن من يشرف على رئيس الوزراء.

ـ البوليس يراقب الناس، فمن يراقب البوليس؟

ـ بوليس ثاني (ضد البوليسية)؟ ـ فمن لهذا البوليس الثاني؟.

إنّ النظام الإجتماعي الصالح هو الذي يبني أسسه على الإيمان الصالح، الذي يعمل كجهاز «منبّه» للضمير الإنساني ليمنعه عن الظلم والطغيان وكل تصرف سيء.

لقد فرض الإسلام «العبادات» التركيز «الإيمان» داخل النفس.

وهذا ما عناه الإسلام بقوله:

«إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وكما في «الصلاة» كذلك في «الصوم» كذلك في «الحج» كذلك في «الزكاة» .. للإسلام في عباداته أنبل الأهداف وأقدس المقاصد.

فالتربية الأخلاقية عند الإسلام تعني:

أ ـ إن الإسلام يراعي تربية الإنسان في كل صغيرة وكبيرة من تكاليفه وتشريعاته.

ب ـ إن برامج الإسلام التربوية تشمل الإنسان إبتداءاً من أول يوم يفتح عينيه على الأرض وإنتهاءاً بيوم دفنه تحت الجنادل.

ج ـ لا يقول الإسلام: «إكذب ثم إكذب حتى يصدقك الناس» بل يقول «لا يجد عبد طعم الإيمان، حتى يترك الكذب هزله وجده».

والإسلام يرى أن العدل، والحق، والأمانة، أصول ثابتة لا تُغيرها الظروف، أو البيئة أو المصالح.

* * *

والآن دعنا نطلع على مصادر الإسلام الأصلية، لنستعرض بشكل خاطف، البنود السلوكية التي لا يوجد لها مثيل في أي دين، أو إيديولوجية،

سواء السماوية منها أم البشرية.. وهي تعتبر بحق أكبر معمل لصناعة الإنسان المناقبي، والشخصية الصالحة.. ذلك لأن بعضها جاء على لسان نبي الإسلام نفسه، وبعضها الآخر جاء على لسان أوصيائه من «أهل البيت» عليهم السلام.

ونحن إذ نذكر النصوص التالية، إنما لكي نؤدب أطفالنا ونربيهم وفقها، حتى يكونوا كما يريدهم الإسلام، مؤمنين صالحين.

وإليكم فيما يلي نصوص من ذلك النبع الإسلامي الفياض:

- إحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.
- ملعون ملعون من وضع كله على الناس.
- لا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا.
- من حب الرجل دينه حبه لأخوانه.
- إذا أردت أن تقر عينك وتنال خير الدنيا والآخرة، فاقطع الطمع عما في أيدي الناس وعد نفسك في الموتى، ولا تحدثن نفسك إنك فوق أحد من الناس.. واخزن لسانك كما تخزن مالك.
- ولا تغتب فتُغتب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنك كما تُدين تُدان.
- من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.
- من إستبد برأيه هلك.
- المؤمنون خدم بعضهم لبعض.. نفقتهم بعضهم لبعض.
- قل الحق وإن كان مراً.
- الغضب مفتاح الشر.
- المؤمن بُشره في وجهه، وحُزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً.
- المؤمن دعب لعب، والمنافق قطب غضب.

- رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب إلى الناس.
- المسلم أخ المسلم.. إذا قال الرجل لأخيه: أف.. إنقطع ما بينهما من ولاية، فإذا قال أنت عدوي فقد كفر أحدهما، فإذا اتهمه أنماث في قلبه الإيمان كما ينماث الملح في الماء.
- وإياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
- إياكم والطمع، فإنه هو الفقر الحاضر.
- إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة، وإياكم والحسد، فإن إبنيّ آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً، فهن أصل كل خطيئة.
- إياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل، ولا يعد الرجل صبيه لا يفي له وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة.
- إياك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً.
- إياك وقرين السوء فإنك به تعرف.
- أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.
- إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك يعمهم الله بعقاب منه.
- إن موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام.
- إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم.
- إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله.
- إن من أعظم الخطايا، من اقتطع مال إمريء مسلم بغير حق، وإن من الحسنات عيادة المريض.

- عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه.
- أكبر العيب: أن تعيب ما فيه مثلك.
- إن الله تعالى يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل.
- إن الله تعالى يبغض الوسخ والشعث.
- إن الله يبغض البخيل في حياته، والسخي عند موته.
- إن الله تعالى يبغض المعبس في وجوه إخوانه.
- إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف.
- الإسلام نظيف، فتنظفوا، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف.
- أشد الناس عذاباً يوم القيامة: عالم لا ينفعه علمه.
- أذل الناس من أهان الناس.
- إذا كان إثنان يتناجيان فلا تدخل بينهما.
- بئس العبد أن يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أُعطي (أخوه) حسده وإن ابتلي خذله.
- من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة، ومن ضيّع حق جاره فليس منا.
- إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها.
- إن الله يسأل العبد عن جاهه [المكانة الإجتماعية] كما يسأل عن ماله وعمره، فيقول:

ـ جعلت لك جاهاً، فهل نصرت به مظلوماً؟ أو قمعت به ظالماً؟ أو أعنت به مكروباً؟

- إن الله يحب البصر الناقد، النافذ عند مجيء الشهوات، والكامل عند

نزول الشبهات يحب السماحة ولو على تمرة، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية.

- إن الله (عز وجل) أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد.
- إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.
- إن الله تعالى يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.

قيل: مَن المؤمن الذي لا دين له؟.

فأجاب: «الذي لا ينهي عن المنكر».

- إن يومك ضيفك، وهو مرتحل.. يمدحك أو يذمك.

إنّ هذه الأحاديث التي تتعرض لكل صغيرة وكبيرة فتذكر حتى مثل مناجاة نفرين، والوسخ وعتاب الأخ، إنما تهدف بناء الإنسان في كل جوانبه، بحيث لا تبقى هناك ثغرة واحدة يمكن أن يدخل منها الشيطان، أو ينحرف به المنحرفون.

وما ذكرناه هو واحد من المليون، من الروايات التي تتحدث عن الجوانب السلوكية في الإنسان.

* * *

وتبقى على الوالدين مسؤولية طرد الصفات السلبية القاتلة، وعدم السماح لها بالمكوث داخل نفوس الأبناء وقلعها بسرعة فيما لو كانت قد حطّت بظلالها القاتل.

هذه الصفات قد تبدو بسيطة، ولكنها كالنار، يمكن أن تحرق في الطفل روح التفاؤل والحركة، والعمل، فيعيش معها ثلاثين أو أربعين عاماً من غير أن يستطيع إنجاز أي شيء فيولد إنساناً ويموت حشرة.

فما هي تلك الصفات؟

أولاً ـ الجهل.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميزان كالأدب».

ويقول الإمام الرضا عليه السلام: **«صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله».**

ثانياً ـ الجبن والخجل.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«قُرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان».

وجاء في الحديث الشريف:

«إن الله يحب الرجل الشجاع ولو بقتل حية».

ثالثاً ـ الإنسياق وراء الشهوات.

خلق الله في الإنسان شهوات كثيرة وجعلها عامل بناء، وحذر من الإنسياق ورائها حتى لا تتحول إلى عامل هدم..

والشهوات مثل برميل البارود، إذا فجرها الإنسان فإنها ستدمر كل ما هو قريب منها بلا تمييز.

رابعاً ـ الحقد.

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال: يا محمد إتق شحناء الرجال وعداوتهم».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من زرع العداوة حصد ما بذر».

خامساً ـ التسرع.

جاء في الحديث الشريف: «**العجلة من الشيطان والتأني من الرحمان**».

سادساً ـ التشاؤم.

بعض الناس يصابون بالتشاؤم في وسط الطريق ولذلك فإنهم سرعان ما يتراجعون عن خططهم فيخسرون الأوقات والجهود بلا مبرر.

والمتشائم، يفوّت على نفسه فرصاً كثيرة تكون متاحة لنجاحه، أو نجاح خططه، ولكنه بحكم تشاؤمه يرى الأشياء والأشخاص ـ وربما نفسه أيضاً ـ في دائرة سوداء، ولذلك فإنه لا يستطيع أن يضع خطة إلا للتراجع إلى الوراء.

سابعاً ـ سرعة الغضب.

يقول الرسول الأعظم ﷺ: «**الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل**».

ويقول ﷺ: «**من لم يملك غضبه لم يملك عقله**».

ويقول الإمام علي عليه السلام: «**ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك**».

ثامناً ـ التكبر.

يقول الله (عز وجل):

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

ويقول الرسول الأعظم ﷺ:

«**إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله**».

ويقول ﷺ: «**إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبّروا عليهم**».

---

(١) لقمان: ١٨.

تاسعاً ـ الحسد.

يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الحاسد مضر بنفسه قبل أن يكون مضراً بالمحسود».

والحسد: يعني السعي من أجل إزاحة ما على الآخرين من النّعم.

عاشراً ـ عدم الطاعة.

يقول الحديث: **«هلك من لم يكن له واعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه».**

وجاء في الحديث أيضاً: **«من إستبدّ برأيه هلك».**

إن الأبناء المتمردين يحاولون في كل وقت أن يثبتوا تفوقهم عن طريق التمرد، فهم لا يتآلفون، ومن ثم فلا يتأتى للآباء هدايتهم إلى الطريق المستقيم.

* * *

تلك كانت عشرة صفات سلبية يكون من السهل على الآباء الكرام طردها من نفوس أبنائهم والتخلص من شرها، فيما لو بيّنوا قليلاً مضارها ونتائجها السيئة ـ على الإنسان ـ لأطفالهم وخلقوا فيهم الحصانة الحديدية تجاهها.

ومن جهة أخرى ـ بالطبع ـ يقوموا بعرض الصفات النبيلة المقابلة لتلك الصفات، والتحدث عن نتائجها الحميدة، وما تدر من خير وبركة واسعة على الإنسان.

هذا وفي الفصل التالي ستجد ـ أيها القارئ العزيز ـ **أفضل الوصايا** الحياتية، التي ينبغي أن ندرسها، ومن ثم لنقدمها إلى أبنائنا من أجل العمل والتطبيق في كل أمور الحياة.

الفصل الثالث

الوصايا الذهبية

إذا أحسست بالرغبة أن الحاجة، في نصح أبنائك، وتقديم الوصايا الحياتية لهم، أرجو منك ـ قبل ذلك ـ أن تقرأ وتدرس هذه الوصايا الذهبية الخالدة.. إنها وصايا قدمها أعظم قائد في الإسلام بعد الرسول ﷺ، وهو الإمام علي عليه السلام، وقد قدمها لابنه الإمام الحسن بعد معركة صفين.. ولعلّ سر عظمتها وخلودها أنها تنبع من وحي الرسالة الإلهية، وتفيض بالتجارب في كل كلمة منها، وتورق بالحكمة في كل عبارة من عباراتها.. ما زالت الوصايا تنشر منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، ويعاد نشرها في مئات الكتب والدراسات التربوية في طول البلاد وعرضها.

كما أنها ترجمت إلى عدة لغات أجنبية، وأُلقيت في المحاضرات والمجالس، ومن فوق أعواد المنابر وأُذيعت على أمواج الأثير في مناسبات عديدة. وتعتبر من جملة الوصايا المهمة في كتاب نهج البلاغة، وهي بحق أفضل وصايا قدمها أب لابنه على مدى التاريخ.. وقيمتها أنها لا زالت تنضح بالحيوية والفائدة بالرغم من قدمها، ومرور القرون والدهور عليها.

والآن لنطلع على جواهرها، ومضمونها العميق بكل تفكر، وتدبر، وهي بالطبع ليست للأبناء فقط، وإنما لكل إنسان في هذه الحياة، حيث يقول الإمام علي عليه السلام:

«من الوالد الفان..

المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدنيا، الساكن مساكن الموتى،

والظاعن عنها غداً.. إلى المولود المؤمل ما لا يدرك..

السالك سبيل من قد هلك، غرض (هدف) الأسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونصب الآفات (العلل) وصريع الشهوات، وخليفة الأموات.

أما بعد..

فإن فيما تبينت من أدبار الدنيا عني، وجموح الدهر (تغلبه) عليّ، وإقبال الآخرة إليّ، ما يزعني (يكفني) عن ذكر من سواي، والإهتمام بما ورائي غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي، فصدفني (صرفني) رأيي، وصرفني عن هواي، وصرح لي محض أمري، فأفضى لي إلى جدٍ لا يكون فيه لعب، وصدق لا يشربه كذب.

ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي، فكتبت إليك كتابي مستظهراً (مستعيناً) به إن أنا بقيت لك أو فنيت.

* * *

فإني أوصيك بتقوى الله ـ أي بُني ـ ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والإعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به!

أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين..

وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا، وأين حلّوا

ونزلوا ! فإنك تجدهم قد إنتقلوا عن الأحبة، وحلّوا ديار الغربة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم..

فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تُكلف، وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال.

* * *

وأمر بالمعروف تكن من أهله، وانكر المنكر بيدك ولسانك، وباين (باعد) من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

وخض الغمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعوّد نفسك التصبر على المكروه، ونعم الخُلق التصبر في الحق! والجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز.

واخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان وأكثر إستخارة (جالة الرأية) وتفهّم وصيتي، ولا تذهبن صفحاً، فإن خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه.

* * *

أي بُني، إني لما رأيتني قد بلغت سناً، ورأيتني أزداد وهناً، بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي، أو أن أنقص في رأي كما نُقصتُ في جسمي أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا، فتكون كالصعب النفور (الفرس غير المذلل) وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته.

فبادرتك بالأدب قل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته (طلبه) وتجربته، فتكون قد كفيت



* * *

* * *

وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك، والرّغبة إليه في توفيقك، وترك كل شائبة أو لجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة، فإن أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، وكان همّك في ذلك هماً واحداً، فانظر فيما فسّرتُ لك، وإن لم يجتمع لك ما تحب في نفسك، فراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء (الناقة الضعيفة البصر) وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خَبَطَ أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل.

فتفهم يا بُني وصيتي..

واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأنّ الخالق هو المميت، وأنّ المُفني هو المعيد، وأن المبتلي هو المعافي، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء، والإبتلاء، والجزاء في المعاد، أو ما شاء مما لا تعلم، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك، فإنك أول ما خُلقت به جاهلاً ثم عُلمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك، ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك!

فاعتصم بالذي خلقك ورزقك، وليكن له تعبدك وإليه رغبتك، ومنه شفقتك.

* * *

واعلم يا بُني.. أن أحداً لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول ﷺ فارضَ به رائداً، وإلى النجاة قائداً، فإني لم آلك (لم أقصر) نصيحة، وأنك لن تبلغ في النظر لنفسك ـ وإن اجتهدت ـ مبلغ نظري لك.

واعلم يا بُني.. إنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار مُلكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، ولا يُضاده في ملكه أحد، ولا يزولُ أبداً ولم يزل.

أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية، عظم عن أن تثبت

ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك آن يفعله في صغر خطر د (قدره) وقلة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربه، في طلب طاعته، والخشية من عقوبته، والشفقة من سخطه: فإنه لم يأمرك إلا بحسن، ولم ينهك إلا عن قبيح.

* * *

يا بُني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها، وزوالها وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها، وضربت لك فيهما الأمثال، لتعتبر بها، وتحذو عليها.

إنما مثل من خبر الدنيا (عرفها كما هي) كمثل قوم سفر (مسافرون) نبا بهم منزل جديب (لا خير فيه) فأموا (قصدوا) منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً (كثير العشب) فاحتملوا وعثاء (مشقة) الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر، وجشوبة المطعم، ليأتوا سعة دارهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدون من ذلك ألماً، ولا يرون نفقة فيه مغرماً، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم، وأدناهم من محلتهم.

ومثل من إغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه، إلى ما يهجمون عليه، ويصيرون إليه.

* * *

يا بُني ..

إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، واحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارضَ من

الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وأن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

واعلم أنّ الإعجاب (إستحسان ما يصدر عن النفس) ضد الصواب، وآفة الألباب، فاسع في كدحك، ولا تكن خازناً لغيرك، وإذا أنت هُديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك.

* * *

واعلم أن أمامَك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وأنه لا غنى بك فيه عن حسن الإرتياد (إتيانه من وجه)، وقدْرِ بلاغِك (الكفاية) من الزاد، مع خفة الظهر، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك، وإذا وجدت من أهل الفاقة (الفقر) من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة، فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمّله إياه.

وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده، واغتنم من استقرضك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

واعلم أن أمامَك عقبة كؤودا (صعبة)، المُخفُّ فيها أحسن حالاً من المُثقل، والمبطيء عليها أقبح حالاً من المسرع، وإن مهبطك بها لا محالة إما على جنة أو على نار، فارتد (أبعث رائداً من طيبات الأعمال) لنفسك قبل نزولك، ووطيء المنزل قبل حلولك، «فليس بعد الموت مستعتب» ولا إلى الدنيا مُنصرفَ.

* * *

واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك

إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يُعيِّرك بالإنابة (الرجوع) ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يُناقشك بالجريمة ولم يُؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك (رجوعك) عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشراً، وفتح لك باب المثاب، وباب الإستعتاب، فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك (المكالمة سراً) فأفضيت (ألقيت) إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك (طلبت كشف همومك)، واستعنته على أمورك.

وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار، وصحّة الأبدان، وسعة الأرزاق.

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت إستفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب (دفعات المطر) رحمته، فلا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أُخرت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل العطاء الآمل.

وربما سألت الشيء فلا تُؤتاه، وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صُرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، ويُنفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له.

* * *

واعلم يا بني!

إنك إنما خُلقت للآخرة لا للدنيا..

وللفناء لا للبقاء..

وللموت لا للحياة..

وأنت في قُلعة (لا يدري متى ينتقل عنه) ودار بلغه (الكفاية) وطريق إلى

الآخرة، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا يفوته طالبه، ولا بد أنه مدركه، فكن فيه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة، قد كنتَ تُحدثُ نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك.

* * *

يا بُني !

أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حَذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك (يغلبك على أمرك).

وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعت هي لك عن نفسها، وتكشفت لك عن مساويها، فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهر (ينبح) بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها، نعم (إبل) معقلة (مشدودة) وأخرى مهملة، قد أضلت عقولها، وركبت مجهولها (طريقها المجهول) سُروح (المال السارح من إبل ونحوها) عاهة (يسرحون لرعي الآفات) بوادٍ وعث (رخو)، ليس لها راع يقيمها، ولا مُسيم يُسيمها.

سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بها، ونسوا ما وراءها.

رويداً يُسفر الظلام، كأن قد وردت الأظغان (الهودج للسفر)، يوشك من أسرع أن يَلحَق !.

واعلم يا بُني ! أنّ من كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً.

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في سبيل من

كان قبلك فخفض (ارفق) في الطلب، واجمل في المكتسب، فإنه ربّ طلب قد جر إلى حرب؛ فليس كل طالب مرزوق، ولا كل مُجملٍ بمحروم، وأكرم نفسك عن كل دنية (حقيرة) وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً (بدلاً).

ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً.

وما خيرُ خيرٍ لا ينال إلا بشر، ويُسر لا يُنال إلا بعسر ؟!

وإياك أن تُوجف (تسرع) بك الطمع فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنك مدرك قسمك، وآخذ سهمك، وأنّ اليسير من الله أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلٌ منه.

وتلافيك ما فرط (قصر عن إفادة الغرض) من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك، وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء (الرباط) وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك.

ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور، والمرء أحفظ لسره، ورب ساع فيما يضره!

من أكثر أهجر (هذي) ومن تفكر أبصر.

قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن (تبعد) عنهم، بئس الطعام الحرام!

وظلم الضعيف أفحش الظلم!

إذا كان الرفق خرقا (عنفا) كان الخرق رفقا.

ربما كان الدواء داء، والداء دواء.

وربما نَصَحَ غير الناصح، وغش المستنصح.

وإياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى (الحمقى)، العقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك.

بادر الفرصة قبل أن تكون غصة.

ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب.

ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد، ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قدر لك.

التاجر مخاطر، وربّ يسير أنمى من كثير!

لا خير في مُعين مهين (حقير) ولا في صديق ظنين.

ساهل الدهر (خذ خطك منه بسهولة) ما ذل بك قعوده، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه، وإياك أن تجمع بك مطية اللجّاج (الخصومة).

إحمل نفسك من أخيك عند صرمه (قطيعته) على الصلة، وعند صدوده (الهجر) على اللطف والمقاربة، وعند جموده (بخله) على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتى كأنك له عبد، وكأنه ذو نعمة عليك.

وإياك وأن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله.

لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك، وامحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة، وتجرع الغيظ، فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة، ولا ألذ مغبة.

ولِن لمن غالظك، فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما.

ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه، ولا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه.

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك، ولا ترغبن فيمن زهد عنك ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الإساءة منك على

الإحسان.

ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

واعلم يا بني !

إن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك.

ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى !

إنما لك من دنياك ما أصلحت له مثواك (منزلتك في الآخرة، وإن كنتَ جازعاً على ما تغلّت (تملص) من يديك، فاجزع على كل ما لم يصل إليك.

إستدل على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الأمور أشباه، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظمة إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب.

إطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين.

من ترك القصد (الإعتدال) جار (مال عن الصواب) والصاحب مناسب، والصديق من صدق غيبه، والهوى (الشهوة الغير منضبطة) شريك العمى.

ورُب بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد، والغريب من لم يكن له حبيب.

من تعدى الحق ضاق مذهبه، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له.

وأوثق سبب أخذتَ به سبب بينك وبين الله سبحانه.

ومن لم يبالك (يعتني) فهو عدوك، قد يكون اليأس إدراكاً، إذا كان الطمع هلاكاً.

ليس كل عورة تظهر، ولا كل فرصة تصاب، وربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمى رشده.

أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته (استبقت حدوثه) وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

من أمن الزمان خانه، ومن أعظمه (هانه) أهانه.

ليس كل من رمى أصاب، إذا تغير السلطان تغير الزمان.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك.

وإياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن (نقص) وعزمهن إلى وهن (ضعف) واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل.

ولا تُملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تُطمِعها في أن تشفع لغيرها.

وإياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الريب، واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذ به، فإنه أحرى ألا يتواكلوا في خدمتك.

وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي تطير به، واملك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول.

أستودع الله دينك ودنياك، واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة، والدنيا والآخرة، والسلام.

محمد الكاتب

كربلاء المقدسة ١٤٠٨/٤/٢

الفهرس

الجزء الثالث

ثمان طرق لكي تملك زمام أبنائك

الجزء الرابع

السر الأكبر في تربية الأبناء

الجزء الخامس

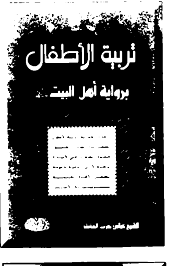
كيف يسود الحب والود بين أبنائك؟

الجزء السادس

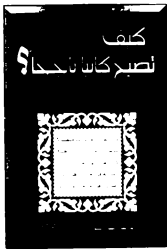
كيف تسعد أبناءك؟

الجزء السابع

كيف تبني الطفولة الصالحة ؟


تربية الأطفال
برواية أهل البيت


كيف
نتصرف بحكمة؟
برواية أهل البيت


كيف
تصبح كاتبا ناجحا؟





